الفصل السابع

التربية الإغريقية

مدخل

على دارس تاريخ التربية ألا يدهش للوفرة فى المادة العلمية التى يجدها عن حياة اليونان القدماء وفلسفتهم وتربيتهم . فالكتب الغربية التى تناولت التربية وتطورها بالبحث والشرح والتعليق أبت إلا أن تعطى الإغريق نصيب الأسد، وقد يقول بعضهم إن وفرة ما عندهم من مصادر عن هذه الفترة فى حياة البشرية مع ازدهار للحياة الفكرية فى المدن الإغريقية تحتم عليهم أن يفردوا لها مكان الصدارة . على أن بعض الدارسين يرون فى هذا تحيزاً من غربى لغربى ، ويهتفون صائحين بأن يهتم مؤرخو التربية وجههم شطر الشرق ، وسوف يجدون فيه الكثير من الفكر الذى يستحق كل عناية ... فى وقت سبق فيه الشرق الإغريق بأكثر من عشرين قرناً .

وتقع اليونان على حافة العالم الغربى متوسطة الشرق والغرب ، ولم تتقابل حضارتا الشرق والغرب على أرض اليونان القديمة فحسب ، بل إن هذه الأرض ذاتها فجرت ينابيع من الحكمة والفلسفة سالت على الشرق ثم أغرقت الغرب إغراقاً ما عاد بعده بمستطيع أن يقبل مزيداً من التراث الفكرى الذى خلفه الشرق . وتمر قرون طويلة قبل أن يتطلع الغرب حواليه ثم يمد عنقه إلى الشرق الغامض يتأمل — فى حذر شديد — فى أديانه وتعاليمه ونظرته للحياة الدنيا والآخرة(١) .

---

(١) وتقول الأنباء الواردة من العالم الغربى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية أن أعداداً غير قليلة من الشباب اعتنقو بعد أن آمنوا بعض ديانات الشرق .

واليونان شبه جزيرة تمد أصابعها وجزرها فى البحر المتوسط بمناخه المعتدل الداعى إلى حرية الحركة . وليس شبه الجزيرة سهلا يرمح فيه الإنسان والحيوان كيفما شاءا ، بل جبالا ووهاداً تتطلب مشقة وعملا وجهداً جسمياً . وعلى أرض شبه الجزيرة تناثرت دول أطلق على كل منها « مدينة دولة » City State ولكل منها نظامها وقوانينها وتشريعاتها وأطماعها ...

وعشرات من الآلهة للبر والبحر وللحرب والسلم والجمال .. وتحارب الآلهة بعضها البعض الآخر .. وإذا كان فرعون مصر إلهاً يموت فآلهة الإغريق خالدة لا تموت ، ولكنها تغضب وتثور وتهدد وتنذر ثم تهدأ ، ويرقص الإغريق ويقيمون الاحتفالات ، وتسيل أنهار من خمر مصفى ، وتمد الموائد ، ويباح ما نراه اليوم إثماً وجرماً .

ولم تعرف اليونان القديمة وحدة ، واختلفت بين مدنها الأنظمة الحكومية بين ديموقراطية واستبدادية ممعنة فى جبروتها وسطوتها . وقبل أن نطرق أبواب مدينة من هذه المدن — وهى حديثة فى تاريخها — نتساءل عن أحوال بلاد اليونان فى عصور التاريخ المبكرة . والمعلومات قليلة ، بل نادرة وتعتمد على الأساطير ، فيقال مثلا إن سيكروبيا المصرى هو الذى أسس مدينة أثينا وحمل إلى هذه الأرض فنون الحياة المتحضرة . كما أن مصرياً آخر وهو دانايوس هو الذى أسس آرجوس ، وقد طار إلى بلاد الإغريق ومعه بناته الجميلات وقد بلغ عددهن خمسين عذراء وانتخبه السكان ملكاً .

ويظهر الإغريق إعجابهم الشديد بأبطال أساطيرهم ، وتقديرهم البالغ للأعمال التى تفوق إمكانات البشر ، ولا تجد الأساطير غضاضة فى أن يطير الإنسان ويحطم ما يريد ، ويهيج البحر بأمر من الآلهة ، فتثور الطبيعة وتعلو الأمواج .. بل وقدوة عند البطل لتحويل كل حى إلى حجر ، وأن يحمى الفارس حبيبته ويقتل حيواناً رأسه رأس أسد على جسم ماعز له ذيل التنين . وتقص الأساطير عن مينوس ملك كريت الذى أبعد القراصنة عن شواطىء جزيرته ثم منح شعبه قوانين جاءته من الإله زيوس . كما أن البطل المغوار

بينسيوس حرر آثينا من اللصوص ومن الجزية التى كانت تدفعها لملك كريت بشرط أن يقدم كل عام للوحش مينوتاور سبعة شبان وسبع فتيات عذارى . ما هرقل فكان أعظم الأبطال ، وقد استطاع أن يحقق الأعمال الخارقة التى أطلبها منه ملك ميسينيا بموافقة الإله زيوس .

شعب وبطل وملك وإله تجمعهم الأساطير والكل سعيد بها ، بل هى محل فخر كل إغريقى فى ذلك الوقت .. وخرجت البعثة الآرجونية التى تتكون من خمسين بطلا وعلى رأسهم العظيم الهائل جاسون على سفينته آرجو ليعودوا بالفراء الذهبى الذى أخذ إلى شواطىء أيوكسين ..

واتحد الإغريق فى الأساطير لإنقاذ هيلين ذات الجمال الساحر وزوجة مينيلاوس ملك أسبرطة .. وغضب البطل الأسطورى أخيل وكان جسمه كله مغطى بالدروع إلا فتحة صغيرة فى كعبه نفذ إليها سهم قاتل ... ثم يوليسيوس وأفعاله الخارقة وتدمير طروادة وعودة الأبطال ... وكل هذه الأحداث وعشرات البطولات تكون الإلياذة والأوديسا لهومر .

ونستقى معلوماتنا عن العصر الهومرى (حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد) من الإلياذة والأودسا حيث تكون المجتمع من طبقة أرستقراطية وأخرى متوسطة وطبقة العبيد . واشتملت الطبقة الأرستقراطية على ملاك الأرض ، والمتوسطة على العمال والصناع .. وتوقفت تربية الأفراد على الطبقة التى ينتمون إليها ، فأصحاب الطبقة العليا تعلموا الفنون الحربية والموسيقى ، وفى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإغريق انقسم اليونانيون القدماء إلى أربعة فروع : الدوريون — الأيونيون — الأيوليون — الأخيون . وحتى قبل قيام المدن فقد عرف الإغريق التصارع والحرب ، ولعل أول هذه الأقسام نمواً فى الأمور السياسية كانوا الدوريين والأيونيين ، وأشهر مدن الدوريين أسبرطة أما بالنسبة للأيونيين فقد برزت آثينا ، وكانت ديموقراطية ، بينما اسبرطة ذات طابع ديكتاتورى استبدادى .

وفى مستهل القرن السادس قبل الميلاد ظهرت عدة تشريعات إصلاحية

على يد القانونى سولون، وتبعه فى أفول القرن كلايسثنيس بتشريعات أكدت ديموقراطية آثينا . ولكنها كانت ديموقراطية عرجاء ناقصة ، فالحضارة الإغريقية اعترفت أنها قامت على نظام العبيد .

ثم جاء الفرس غازين من الشرق بين عام ٥٠٠ وعام ٤٧٩ ق . م.وكانت حروب بين الفرس وبين الإغريق انتهت لصالح الأخر . وتمتعت آثينا بمركز حربى وسياسى خلق لها زعامة المدن الأغريقية(١) .

وسادت آثينا ديموقراطية فى الداخل ، ولكن النزعات الاستعمارية بصمت سياستها فى الخارج خاصة عندما بدأت تمد تجارتها غرباً حتى بلاد الغال (فرنسا) وشرقاً مع الدول الآسيوية ، وأغرى الذهب المتدفق إلى أرضها فظهرت طبقة من التجار بدأوا يتدخلون فى السياسة .

وكان لابد للعملاقين أن يتصادما : آثينا بديموقراطيتها وتقدميتها، وأسبرطة بأرستوقراطيتها ومحافظيها ، عندما حاولت آثينا أن توحد كل الإغريق فى وحدة سياسية تحت زعامتها ، ولكن أسبرطة رفضت مؤكدة حق تقرير المصير لكل مدينة دولة (إلا المدن التى تحت سيطرة أسبرطة) وكانت الحرب البيلليبونيزية من عام ٤٣١ — ٤٠٤ ق . م . حرباً بين قوة آثينا البحرية وبين قوة أسبرطة البرية.حرب بين الديموقراطية وديكتاتورية عسكرية . وأرغمت اسبرطة آثينا على قبول شروطها بعد سلسلة من الهزائم الحربية حاقت بآثينا ويقال إن سببها أخطاء فى التكتيك الحربى وخيانات . ونظر الكثيرون شذراً إلى الديموقراطية ردحاً من الزمن ، ومع ذلك ظلت جذورها تنمو ، ولكن فكرة توحيد بلاد الإغريق لم تظهر على السطح مرة أخرى .

وفى القرن الرابع قبل الميلاد حاولت اسبرطة أن تسيطر على اليونان ، ولكن فارس أعادت الكرات الهجومية ، مما أضعف عضد اسبرطة ، وبلغ ضعفها درجة مكنت منها مدينة طيبة الإغريقية التى أصبحت صاحبة الكلمة العليا فى بلاد اليونان ، ثم بدأت تضعف . ومرت أجيال لم تعرف فيها بلاد

---

(١) ول ديورانت (ترجمة بدران) — الجزء الثانى من المجلد الثانى . ص ٦ — ٨ .

الإغريق الراحة والسلام ، فالمدن تأكل بعضها ، ولا يكاد المغيرون من مدينة يستقرون بعد غزوة إلا وتهاجمهم مدينة أخرى .. حروب ألقت ظلالها على فترات السلام القصيرة الهزيلة ، فأحالت خريطة بلاد اليونان القديمة إلى جذوات من نار وبحار من دم لا يكاد يجف .

وبينما معظم بلاد الإغريق تعوم فى بحار الدم كانت مقدونيا فى الشمال تتوحد على يد فيليب المقدونى الذى عرف الأسر فى طيبة وتعلم الفنون العسكرية . وفى عهده وعهد إبنه لم تتوحد اليونان فقط ، بل امتدت إمبراطورية الإسكندر شرقاً إلى الهند وشملت آسيا الصغرى وفارس وسوريا ومصر . وبعد وفاة الإسكندر قسمت إمبراطوريته إلى أقسام ثلاث : مقدونيا وسوريا ومصر . وبموت الإسكندر بدأت اليونان ترنو ببصرها إلى عهود بركليس وأفلاطون .

وتمثل اسبرطة وآثينا نوعين متميزين من الثقافة الإغريقية ، ويتخذهما

وبموت الإسكندر بدأت اليونان ترنو ببصرها إلى عهود بركليس وأفلاطون .

وتمثل اسبرطة وآثينا نوعين متميزين من الثقافة الإغريقية ، ويتخذهما المؤرخون والمربون نموذجين للحياة والتربية الإغريقية . وسوف أتعرض لهما بقليل من الإسهاب الذى يتناسب وحجم كتاب يتناول بالعرض السريع تطور الفكر التربوى .

اسبرطة[1]

كان الغازى إذا أخضع مدينة لسيطرته أصبح السيد الحر ، أما الذين حلت عليهم الهزيمة فهم عبيد يأتمرون بأوامر الأحرار ، والحر هو من يفكر لنفسه والمتمتع بالحقوق السياسية وصاحب الأنشطة الرفيعة ، وهو الذى يتعلم ويحذق الفن والشعر والموسيقى والأدب . وقد غزا الاسبرطيون لاكونيا واستقروا فى كبرى مدنها (اسبرطة) متسيدين على البيريويكى والهيلوت السكان الأصليين .

---

(١) لشرح أوفى فى التربية اليونانية والرومانية - انظر كتاب « التربية فى المجتمعين اليونانى والرومانى » للاستاذة فتحية حسن سليمان .

وبيريويكى تعنى « السكان المتجولين فى الأنحاء المجاورة » وهذا كان حالهم فقد تناثروا على مشارف اسبرطة فى مدن صغيرة بلغت حوالى مائة مدينة ، وكانوا أرقى من الهيلوت Helots وهم العبيد فقد تمتعوا ببعض الحقوق المدنية والسياسية وكونوا الطبقة المتوسطة التى بلغ عدد أفرادها حوالى ١٣٠,٠٠٠ فى حين كان عدد العبيد الهيلوت حوالى ٢٢٥,٠٠٠ أما الإسبرطيون السادة فكان عدد حوالى ٤٥,٠٠٠ سيد(١) . وكانت مهمة العبيد خدمة أسيادهم ، أما البيريويكى ومنهم ملاك وتجار وصناع فكان عليهم دفع ضرائب باهظة للإسبرطيين السادة(٢).

وبينما عاش الإسبرطيون السادة حياة ديموقراطية إلا أنهم كونوا طبقة متعالية فى أرستوقراطيتها على الطبقتين الوسطى والعبيد . واتخذ نظام الحكومة شكلا جمهورياً من وجهة نظر ، وشكلا ملكياً من وجهة نظر أخرى. فكان هناك ملكان وجمعيتان للمواطنين ، وفيهما كانت السلطة الفعلية للدولة . وأعلى الجمعيتين تكون مجلس الشيوخ ويتكون من ٢٨ عضواً كل منهم يزيد سنه عن ستين سنة ، ويتولى عضويته مدى حياته. أما الجميعة الأخرى فكانت تضم أعضاء فوق سن الثلاثين وصلوا إلى كراسيهم بالانتخاب ، ثم انتخب الأعضاء خمسة منهم يمثلونهم وسموا الـ Ephors.

وكانت سياسة اسبرطة تقوم على التفوق العسكرى لتظل للسادة السيادة على بقية السكان .ولهذا تكون نظامهم التربوى بهذه الفلسفة(٣) . ويرجح أن نظام التربية الإسبرطية يرجع إلى المشرع ليكرجس فى حوال منتصف

---

(١) Mulhern, op. cit., p. 134.

(٢) McCormick, op. cit., p. 89.

(٣) منرو ، بول (ترجمة صالح عبد العزيز) : المرجع فى تاريخ التربية ـــ جزء أول ص ٧٢ - ٧٣ .

القرن التاسع قبل الميلاد . وكان هدفها إعداد الفرد لمكانه فى الدولة . فالولد يعد ليكون ذا كمال جسمى شجاعاً متحلياً بعادات الطاعة العمياء للقانون ، وحتى يكون الجندى الذى لا يهزم ، متقشفاً وضابطاً لشهواته مخاطراً ومتحدياً المشقات ، أما المرأة الإسبرطية فكانت تربى لتتصف بالترفع والنشاط فى الحياة

وكانت الدولة تمتلك الطفل منذ لحظة مولده ، وهى التى تحدد ما إذا كان هذا الطفل يستحق الحياة أو الموت ، ويحدد هذا القدر مجلس من المسنين ، فاذا أنسوا فى الطفل ضعفاً أو هزالا تركوه فى العراء ، ثم يعودون إليه بعد فترة ، فاذا كان قد تحمل الجوع والجو سمحوا له بالحياة ، وإلا فخير لهم أن يموت فلا ينمو مواطناً ضعيفاً .

ويسمح للطفل بالبقاء تحت رعاية الأم فى البيت لمدة سبع سنوات ، ثم يرسل كل الأطفال إلى مؤسسات تديرها الدولة حيث يتولى أمرهم مدرب Paedonomos يعاونه بعض المساعدين . ويصبح الطفل عضوا فى أسرة أكبر هى الدولة ، حيث يعيش مع غيره من الأطفال فى ظل نظام قاس . ويأكل الأطفال سوياً ويلبسون ملابس متشابهة ، وينامون فى معسكرات يغلب عليها طابع التقشف ... وكل شىء مشاع بينهم ، فكل شىء ملك للدولة ، ولم يسمح لهم إلا بارتداء القليل مما يستر الجسم ، وبالتغذى بالضرورى ويقسم الأطفال إلى مجموعات ، تتكون كل مجموعة من أربعة وستين طفلا ، وعلى رأسهم Eiren ولد اختير لشجاعته وحسن تصرفه . ويصف المؤرخ بلوتارك أولئك الصبية الذين لم يتجاوزوا الثانية عشرة فيقول : « كان كل غلام يظهر الخلق الحسن وحسن التصرف والشجاعة والإقدام بين أنداده يصبح زعيما للجماعة ، وكان الباقون يرمقونه بأعينهم ويطيعون أوامره ، كما يتحملون — بكل صبر — أى عقاب كان ينزل بهم . لذا كانت التربية تهدف إلى تمرين الأطفال على الطاعة » .

وكانت حياة الإسبرطى تدريباً مستمراً للحرب ، فكان الواحد منهم ينام فى المعسكرات حتى يبلغ سن الثلاثين ، ويأكل فى الميس العام حتى يبلغ سن

الستين ، وكان لا يسمح للفرد إلا بقدر قليل من المال والحاجات العينية ، مما يحتاجه لبعض الضروريات . وإذا كانت الدولة قد منحت كل إسبرطى حر قطعة من الأرض يزرعها ويفلحها له العبيد ، فانها تطلبت منه أن يدفع لها مبلغاً فى الشهر ، وإذا فشل فرد فى تقديم ما يطلب منه طرد من الميس وحرم من المواطنة . وكان يطلب من المواطن عادة إردبان من الشعير ، وثمانية جالونات من النبيذ ، وستة أو سبعة أرطال من الجبن ، وأربعة أرطال من التين المجفف ، وكمية معينة من اللحوم .

ولم تسنح للطفل الإسبرطى فرص لتدريب العقل ، فقد غطت التربية العسكرية الجوانب الأدبية فى مناهج التعليم ، بل لم يتعلم القراءة ولا الكتابة فى مدارس الدولة إلا على أيدى مدرسين خصوصيين . أما أشعار هومر والأغانى الوطنية فقد اهتم المسئولون بها على أساس أنها تدعو إلى الحماس وتوقظ الهمم أكثر من كونها مادة للتقدير الأدبى والفنى . وإذا كان معظم الإسبرطيين قد جهلوا القراءة والكتابة ، فان أفلاطون يبدى إعجابه بسرعة بديهة الاسبرطى وسرعة رده ، ولو أنه لأول وهلة يظهر كما لو كان غبياً . وكان الفتى الإسبرطى يستمع إلى مجادلات ومحادثات الشيوخ أثناء تناولهم وجبات الطعام أو مسيرهم فى الطرقات .

وعلى أن الجانب الأكبر من التربية الاسبرطية كان مكرساً للتدريبات العسكرية والتربية الرياضية ؛ فكان الأولاد يمتطون ظهور الجياد ويمارسون السباحة يومياً ، ويقضون وقتاً طويلا فى التمرينات التى تقوى العضلات وتبنى أجساماً مرنه وقوية ، وكان الخمسة الكبار Ephors يزورون معاهد التعليم بصورة دورية للتفتيش على سير الدراسة والتدريب . ويجلس الواحد منهم يراقب عن كثب كيف يؤدب المعلم تلاميذه وكيف يجادلهم ويعاقبهم ، حتى إذا فرغ الدرس ولم يرض الزائر عن تهاون المعلم فى عقابه تولى هو معاقبة المؤدب أو المعلم .

والقسوة والعنف كانا شعار التربية ، فالصبية يجرون ويقفزون ويتلاكمون

ويتصارعون ، ثم قليل من الرقص والموسيقى ، ثم سباحة وتحمل مشاق وتخطى عقبات ، ففى بعض المناسبات كان الأولاد والشبان يضربون ضرباً مبرحاً أمام مذابح الإلهة أرتيميس . ويسمح فى المصارعة والملاكمة بأى أسلوب يمكن الفرد من التغلب على خصمه كقطع جزء من جسمه أو إحداث عاهة به .

ومع هذه الشدة فكانت هناك تربية خلقية تلازم هذه التمرينات ، ولعل أهمها تقديس وطاعة الرؤساء ، أما الأمانة ، والصدق فلهما معايير قد لا نرتضيها اليوم . والتواضع مطلوب ، فالصبية يمشون فى الطرقات وأيديهم تمسك بأطراف العباءة وعيونهم شاخصة إلى الأرض . ولكن لا بأس من الكذب على غير الاسبرطيين ولا بأس من السرقة ، وعلى السارق ألا يضبط وإلا أصابه الجلد والامتهان بتهمة الإهمال وعدم الحرص والفشل . فالسرقة والتلصص تدريبان على أعمال الحرب .. وكل تدريب يؤدى إلى نصر فى الحرب فرحباً به عند الاسبرطيين . وشرب الخمر إلى الثمالة مرذول ، ولكى يدرك الإسبرطى الحر مثالب السكر الشديد فكان يؤتى ببعض الهيلوت العبيد ويرغمون على احتساء الخمر بكميات تلعب برءوسهم ويعرضون للسادة الأحرار !! وإذا زاد عدد العبيد فهذه كانت فرصة للتدريب على القتل ، فيطلق الطلبة إلى الطرقات والمنازل ليتمرنوا على فنون القتال ضد العبيد العزل .

وخضع الإسبرطى للعقوبات البدنية حتى يدخل الشاب ملتحقاً بفرقة الإفيبى Ephebiأى الطالب الحربى بعد سن الثامنة عشرة ، حيث كان يتلقى تدريبات عسكرية متقدمة ، كما كان يعمل معلماً للأطفال ومشرفاً عليهم . وإذا فشل الأطفال فى إجابات عن أسئلته كان رئيسهمEiren يتلقى ضرباً مبرحاً ، وبالتالى يذهب هو ويضرب الأطفال الذين خذلوه بأخطائهم أو فشلهم ويتضح أن المعرفة العسكرية كانت تزرع فى نفوس الإسبرطىمنذ صغره ، حتى إذا ما كبر وأصبح بفرقة الإفيبى كان مؤهلا لتلقى أعنف التدريبات العسكرية . ثم ينتقل إلى دراسة أكبر بعد اجتياز عده امتحانات عسيرة وشاقة . ويبقى فى فرقة الميلليرينس Milleirens عشر سنوات ، يصبح بعدها فى سن الثلاثين

أى رجلا مكتمل الرجولة ، مواطناً ومحارباً ، وعليه أن يتزوج حينئذ .

أما البنات فقد عهدت تربيتهن إلى الأمهات ، وكن يخرجن حافيات لا يستر أجسادهن إلا ثوب واحد ، وخضعن أيضاً لتدريبات رياضية ، وتدربن على المصارعة والسباحة والجرى ورمى القرص والرمح . وكن يقسمن إلى جماعات ، كما هو الحال بالنسبة للبنين . وكان من رأى المشرع (ليكرجس) أن تطهر الفتيات من كل صفات الأنوثة المكتسبة كالحياء ، ولذلك فكن يرقصن عاريات تماماً أمام الرجال . ولكن بعد الزواج كانت المرأة الإسبرطية تتحجب وتلزم بيتها معظم الوقت فى انتظار عودة زوجها .

إن نظرة عامة على التربية الإسبرطية تبين أنها استغلت الأفراد لخدمة الدولة كل الإستغلال . فالفرد للدولة من ساعة مولده ، وهو يعد ليكون حامياً ومدافعاً عنها ، والبنت تعد جسمياً وخلقياً لتكون زوجة تقدم للدولة محاربين أصحاء أشداء . بل إن الرجل المسن كان يعير زوجته لغيره من الرجال حتى تنجب للدولة أطفالا أقوياء . وقد هيمنت الدولة تماماً على التربية وحققت ما أرادته من أهداف خلق المواطنين القادرين على حمايتها وتحقيق مطامعها . أفراد أشداء لهم معاييرهم الخلقية التى ناسبت عصرهم ، متحمسون لوطنهم ومتعصبون له .. ولكن عندما حلت باسبرطة الهزيمة تداعى هذا البنيان وطفت موجات من الانحلال الخلقى والفوضى بعد فترة طويلة من النظام والجمود .

قد ضحت الدولة فى اسبرطة بالفرد ، وفكرت الدولة للفرد ، وعندما حلت الساعة التى تحتم فيها على الفرد أن يفكر لنفسه ، وجد نفسه عاجزا .

وفى محاولة لتقييم التربية الإسبرطية نجد أن الخضوع للقوانين خضوعاً أعمى ساد حياة الاسبرطيين ، ودمغ هذه الحياة بجمود شديد يذكرنا بالجمود الذى عاناه المجتمع المصرى قبل ذلك بأكثر من ألف سنة ، وإذا كان الآلهة فى مصر القديمة قد شرعوا عن طريق الفرعون وكبار رجال الدين ، فان قوانين (ليكرجس) الإسبرطية كان لها نفس التقديس والتبجيل . بل كان من حق الإله الدنيوى (الفرعون) فى مصر أن يغير ، وأن يفسر الكهنة القوانين كيفما

شاءوا ، ولكن لا أحد فى اسبرطة كانت له هذه القوة .. بل لم يكن لأحد السلطة فى اسبرطة حتى على تغيير عدد أوتار القيثارة أو طريقة طهو الطعام .

وكان من نتيجة هذه التربية العسكرية التسلطية فى اسبرطة أن طبعت الأفراد « بخصال كانت سبباً فى فشلهم فيما بعد ؛ فقد عرف عن الإسبرطيين أنهم لم يتعودوا الاعتماد على النفس أو توجيهها ، كما أن قدرتهم على التفكير أو التخيل كانت محدودة وأنهم لم يتعودوا مواجهة المشكلات ومحاولة حلها بتعقل وروية ، فلم يعط الإسبرطيون الفرصة لتحمل المسئوليات ، بل إن الدولة وجهتهم فى كل شىء ، ورسمت لهم طريق الحياة ولم يكن عليهم إلا الأنصياع للأوامر والبعد عن النواهى »(١) وقد أدت هذه التربية إلى جدب وقحط فى التراث الفكرى وانهيار لحرية الرأى وعدم قدرة الإسبرطيين على تكييف أنفسهم تبعاً لتغير الظروف .

آثينا

ولعل أهم ما كانت تهدف إليه التربية الآثينية ، بمقارنتها بشقيقتها المحاربة اسبرطة ، أن يسير الفرد فى حياته بالحكمة التى يغفلها العقل فى أدائه ما يلقى عليه من واجبات .على أن الدولة الآثينية تطابت فى مواطنيها قوة الجسم والجرأة والإقدام فى ساحة الوغى ، وما أكثر ساحاتها . ولكن آثينا لم تتبع ذلك الأسلوب العسكرى الاستبدادى الذى اتبعته اسبرطة ، فقد قدست آثينا الأسرة على أساس أنها ركيزة فى نمو شخصية الطفل وتشكيلها .. وتطلبت من الأسرة العناية بالطفل ، حتى إن مشرع آثينا الأعظم (سولون) أعفى الإبن من مساعدة أبيه إذا قصر هذا فى تربيته عندما كان طفلا . وقد اهتمت آثينا ، على عكس اسبرطة ، بتعليم الموسيقى إلى جانب التربية البدنية ، على أن المدارس كانت خاصة يملكها أفراد ، ولكنها تحت إشراف الدولة التى أشرفت أيضاً على تربية الأطفال فى منازلهم .

(١) فتحيه سليمان ، المرجع الأسبق ، ص ٢٥ .

وقد اعتز الآثينيون بأنفسهم اعتزازاً كبيراً قائلين : إنهم كانوا خير من فى شبه الجزيرة اليونانية وأرقاهم وأعلاهم حكمة وثقافة .. أعلى من كل سكان الدويلات الإغريقية . ولم يبخل دارسو للثقافة الإغريقية فى إسداء المديح للآثينيين لتقدمهم السياسى وإنجازاتهم التربوية . فقد أعطى الآثينيون العالم لأول مرة نموذجاً للديموقراطية ، على المستويين النظرى والعملى :

وقد حكم الآثينيين ملك حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ، ثم تحول اللقب إلى « أرخون » أى الحاكم ، وإن كان المنصب قد ظل وراثياً فى أسرة معينة ؛ ولكن سلطته الفعلية خرجت من يديه لتكون وديعة فى جمعية عامة يهيمن عليها النبلاء .. ثم أصبح الأرخون ينتخب لمدة عشر سنوات ، نقصت إلى سنة واحدة عندما صار عدد الأرخون تسعة . وقد أعطى سولون فى قوانينه المواطنين مجموعة من الحقوق تتفاوت حسب ثراء كل . وتحت حكم كليسثنيس فى الأيام الأخيرة من القرن السادس قبل الميلاد بدأت الديموقراطية الحقيقية تنتعش .

وتكون المجتمع الآثيني من المواطنين والأجانب والعبيد . وقدر عدد السكان فى القرن الرابع قبل الميلاد بواحد وعشرين ألف مواطن ، وعشرة آلاف أجنبي ، أما عدد العبيد فوصل إلى ٤٠٠,٠٠٠ عبد ، أى حوالى عشرين عبداً لكل مواطن حر(١) ولم تكن للعبيد حقوق مدنية ، ولكن كانت هناك تشريعات لحمايتهم من عبث الأحرار واضطهادهم . أما الأجانب فلم يكن لهم الحق فى الإشتراك فى حكومة الدولة ولا تملك أرض ، وللأجنبى أن يعمل بالتجارة على أن يدفع ضريبة سنوية ، وقد يخدم أحياناً فى الجيش أو البحرية . وكان العبد يعمل لسيده أو يعمل للحكومة أو لسيد آخر ، على أن يدفع لسيده جزءاً مما يتقاضاه . وعمل العبيد فى أعمال يدوية ، مما أضفى على هذه الأعمال مهانة كانت تثير تقزز السادة الأحرار الذين استمتعوا بوقت فراغ أتاح لهم الاهتمام بواجباتهم كمواطنين ، ومنها حضورهم ساحات المحاكم

---

(١) McCormick, op. cit., p. 95

الجمعيات العمومية والخوض فى سير الناس ممن يهمهم التحدث عنهم ، ونقدهم والتشهير بهم إذا لزم الأمر . وكان السيد الحر يمضى معظم وقته فى السوق أو الساحة Agora، ولا يذهب إلى بيته إلا ليأكل ويستريح وينام . وما شئون البيت فقد عهد بها إلى زوجته والعبيد :

وكان الآثينى غيوراً على زوجته وابنته ، وتتزوج البنات فى سن الخامسة عشرة أو أقل من هذا السن أحياناً ، أما الرجل فلا يتزوج غالباً إلا بعد سن الثلاثين. ونساء الأحرار قلما كن يخرجن إلا باذن من الزوج وبحراسة عبد . وتمضى الفتاة وقتها فى تعلم الفنون المنزلية تحت إشراف أمها ، مثل الغزل والنسج والحياكة وأشغال الإبرة ورعاية المريض ، والاهتمام بجمالهن ومظهرهن

وكانت ملابس الرجال والنساء متشابهة تقريباً ، ترتدى النساء ما يشبه الجلباب حيث يصل إلى أقدامهن ، ويرتديه الرجال ولا يكاد يصل إلى تحت الركبة ، وخاصة للفلاحين والصناع والمحاربين ، وفوق الجلباب كانوا يرتدون عباءة ، وبالقدم صندل يخلع عندما يجلس الفرد لتناول الطعام . وقد غطت الفتيات وجوههن بحجاب شفاف ، كما استعملن حشوات لتغطية عيوب الجسم أو مشدات لإخفاء الترهل، وعلاقات للصدور ، ومانعات لحصل الشعر المتمردة ، وأقراطاً وعقوداً وأساور حول المعاصم وحول أسفل السيقان ، وعرفت وجوههن أصباغاً شتى لتزيد الجميلة جمالا ولتصلح تجاعيد الزمن أو لتحسن ما أهملته الطبيعة ... وكثيراً ما حملت الفتيات والسيدات مظلات وقاية من شمس أو مطر أو استكمالا لرشاقة ، ويعبثن بمراوح يستجدين بها بعض النسمات أو يحركنها كجزء متمم للأناقة . أما الرجال فقد أرسوا خاتماً حول أصبع ، مستعينين بعصى لم تكن ليتوكأ عليها الرجل فى مشيته المتئدة التى تجاذب فيها أطراف الحديث والنقاش مع غيره .

وذهب الأطفال إلى مدارس أدارها أفراد منذ الصباح الباكر ويستمرون بها حتى تغيب الشمس ، وقد بدأ الإشراف الحكومى على المدارس منذ تشريعات سولون عام ٥٩٤ ق . م . فقد أصر سولون على ضرورة تعلم كل

طفل مهنة ، كما حدد ساعات الدرس ، وكذا الشروط الواجب توفرها فيمن يقوم بمهنة التربية وسنه . وكم من التلاميذ يستوعبهم إشراف المربى الواحد . وكان سولون هو الذى أدخل دراسة (هومر) فى المدارس .

هدفت التربية الآثينية إلى تكوين تناسق بين روح مرهفة تحس بالجمال وتقدر الأدب ، وجسم رشيق قوى ، هدفت إلى تكوين الرجل الكامل جسما وعقلا وخلقاً .. الجندى الذى يذود عن الوطن ، والمواطن القادر على الإسهام فى ثقافة بلده بتتبع كل جميل فى وقت السلم . كانت تربية لاستخدام وقت الفراغ فى نمو متزن للفرد ، واستخدام مثمر لإمكاناته الجسمية والعقلية والروحية . وعلى الوالدين فى بواكير الطفولة مسئولية كبيرة فى هذه التربية فيسمعان الطفل قصصاً وأساطير ويدللانه ، حتى إذا كبر بدأ الطفل يعرف الشدة ، والضرب بالنعال والعصى ... ولكن لا يفتقد العطف والحب منهما .

ويذهب الطفل إلى المدرسة حوالى السابعة من عمره . ويقسم اليوم المدرسى بين الباليسترا Palaestra أو الجمنازيوم والديدسكاليون Didaskaleion أو مدرسة الموسيقى ، وفى الجمنازيوم يدرب التلاميذ على كل التمرينات الرياضية كرمى القرص والرمح والمصارعة والجرى والرقص والسباحة وتدليك الجسم بالزيوت ليحتفظ برشاقته ، أما مدرسة الموسيقى فقد عنى بها أيام الإغريق دراسة الأدب والتربية الخلقية . وفى المدرسة يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب إلى جانب الأغانى الوطنية والشعر .

وكان يرافق التلميذ فى ذهابه إلى المدرسة عبد مسن اضطرته شيخوخته إلى عجز عن أعمال تحتاج إلى مجهود فعهدوا به إلى التلميذ يصحبه فى غدوه ورواحه من المدرسة . وكان هذا البيداجوج pedagogue يقوم بتقويم أخلاق التلميذ ويراقب سلوكه وعاداته فى الحديث والمشى والمجلس والمأكل ومعاملة الناس .

أما المربون فى المدرسة فكانوا يأخذون معاشهم مما يدفعه التلاميذ . وقد يستطيع مرب بما يجمعه أن يجمع التلاميذ فى فصل دراسى . أما غيره فكان يعقد حصصه فى الهواء الطلق ... فى ظل معبد أو فى أحضان تعريشة وارفة

الظلال ... أو فى مكان هادىء على قارعة طريق لا يطرقه كثير من المارة ... المهم وجود المربى والتلاميذ والمادة التى ينقلها المربى إليهم . وكانت الغالبية من المربين يأخذون أجرهم عيناً لا مالا ، فى آخر يوم من الشهر بعد أن يخصم الأب أجر الأيام التى تغيبها ابنه. وكان لأبناء الأغنياء امتياز تلقى التربية على أيدى أفراد عرفوا بغزارة العلم والحكمة . وكانت لهم شهرة واحترام بين سكان آثينا .

وقد اتبع الإغريق فى تدريس القراءة الطريقة التركيبية ، فيتعلم التلاميذ حروف الهجاء أولا ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات . ثم يبدأ التلاميذ الكتابة على الرمل ، ثم على الشمع ثم على جلد رقيق مستخدمين قلماً من الغاب وحبراً مصنوعاً من الصمغ والصناج ، كما كان يفعل قدماء المصريين ، ولكن هؤلاء استخدموا ورق البردى كما استخدموا لوحة العدد فى تعلمهم مبادىء الحساب ، وكانت الحروف هى المستخدمة بدلا من الأعداد ، كما استخدمت الأصابع فى عمليات العد داخل المدرسة وخارجها حيث يوضع أصبعان متجاوران للدلالة على رقم معين . ودرس التلاميذ بعض المعلومات الجغرافية من دراستهم لإلياذة هوهومر . أما الشعر فكان يستظهر ويسمع بمصاحبة الموسيقى .

وحوالى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة كان الشاب الآثينى ينتقل من الباليسترا إلى الجمنازيوم العام بعد أن يتم المدرسة الإبتدائية وكانت ثمانى أو تسع سنوات . وكان أبناء غير ميسورى الحال يتوقفون عند التعليم الابتدائى ثم يتجهون إلى بعض الصناعات للتكسب وقد عرفت ساحتان عامتان هما الأكاديمية والليسيه Lyceum وخلدتا لارتباطهما بكل من أفلاطون وأرسطو على الترتيب . وفى هذه الساحات اتخذت التمرينات الرياضية طابعاً قاسياً إذا قورنت بالباليسترا وكانت الدولة تملك هذه الساحات ، ويعمل فيها موظفون رسميون ومهمتهم إعداد الشباب لمتطلبات الدولة .

هذا ، ولعلنى أجد أخيراً فى أن أنقل الوصف الكامل لتربية الطفل الآثينى

كما رآها أفلاطون(١).. تبدأ تربية الطفل وتوجيهه فى سنى حياته الأولى ، وتستمر طيلة حياته . ومنذ أن يبدأ الطفل يميز من حوله تتنازعه الأم والمربية والأب والمرشد لتوجيهه . ولا يمكنه أن يقول شيئاً دون توجيه منهم بأن هذا حسن وذاك سيء ، وأن هذا مشرف وذاك عار ، وهذا مقدس وذاك غير مقدس . إعمل هذا وتجنب ذاك ، فاذا أطاع كان طيباً وحسناً ، وإذا لم يطع عرض نفسه للتهديد وللعذاب الشديد فيلكم كما لو كان جماداً . وبعد ذلك يرسل إلى المدرسين الذين يطلب منهم الإشراف على سلوكه قبل أن يشرفوا على تعليمه القراءة والموسيقى ويعمل المدرسون ما يطلب منهم ، وإذا ما تمكن الطفل من معرفة الحروف الأبجدية وبدأ يفهم ما هو مكتوب ، أمدوه بمؤلفات أعاظم الشعراء ، تلك المؤلفات التى عليه أن يقرأها فى المدرسة ، ويجد التلميذ بين ثنايا الأشعار الكثير من النصائح والكثير من القصص ومفاخر مشاهير الرجال القدماء ويطلب منه حفظها عن ظهر قلب حتى يعمل على تقليدهم ويحدث نفسه بالرغبة فى الوصول إلى ما وصلوا إليه من مكانة رفيعة . وبعد ذلك يتسلمه مدرسو الموسيقى ويصلحون من مزاجه بحيث يصبح معتدلا ولا يقع مطلقاً فى المعاصى . وعندما يعلمونه استخدام الآلة الموسيقية تعرض عليه أشعار مشاهير الشعراء أصحاب الأغانى الشعرية . وينشدون هذه الأشعار على نغمات الموسيقى ، ويجعلون من توقيعها وأنغامها مزيجاً تألفه أرواح الأطفال حتى يطبعوهم بطابع الظرف والاتزان وتقدير الزمن ، ويصبحوا قادرين على الكلام وعلى العمل . ذلك أن حياة الإنسان فى جميع مناحيها فى حاجة إلى الانسجام والتوقيت . ثم يرسل الطفل إلى أستاذ الألعاب الرياضية حتى يتمكن الجسم من أن يلبى نداء العقل الفاضل وحتى لا يضطر الشباب فى المستقبل نتيجة ضعف أجسامهم أن يلجئوا إلى الهرب من الجيش إبان الحروب. هذا هو ما يفعله القادرون من التلاميذ مادياً وهؤلاء هم الأغنياء وحدهم وهم يبدأون عملية التربية فى وقت مبكر جداً وينتهون منها فى سن متأخرة .

---

(١) مذرو ، بول : المرجع الأسبق ، ص ٨٦ - ٨٨ .

وبعد أن يفرغ هؤلاء التلاميذ من أساتذتهم ترغمهم الدولة على تعلم القانون حتى يعرف كل مواطن ماله وما عليه وحتى يعيش حياة واقعية مرسومة لا حياة خيالية ، كما كانت الحال فى تعلم الكتابة والقراءة إذ كان مدرس الخط يرسم خطوطاً نموذجية ويجعل الطفل يتتبع هذه الخطوط ... فكذلك كان تدريبه على القانون، وكانت المدينة تضع قوانينها وهذه كانت من اختراعها ومن عصارة أفكار رجال قانونها القدماء وكان الغرض من هذه القوانين أن يعرفها الشباب قادة كانوا أم محكومين ومن يخالف هذه القوانين فلابد من إصلاحه . أى استدعائه للمحاكمة .. وهذا ينطبق على هذا القطر كما ينطبق على غيره من الأقطار .

وفى حوالى سن الثامنة عشرة ولمدة سنتين ، يقسم الآثينى يمين الولاء لدولته ، ويتمرن على فنون الحرب ومعيشة الجندية ، وغالباً ما تكون فى حراسة الحدود ، ويتدرب على استخدام الأسلحة (الثقيلة) كالدروع وإلقاء الرماح ، وفنون التكتيك العنيفة . وكان يطلق عليه فى هذه الفترة اسم Ephebe أى الشاب . وبعد انتهاء السنتين يتقدم إلى « الجمعية العامة»ويتقبل من الدولة رمحاً ودرعاً ويصبح مواطناً . ثم يقسم أمام المواطنين كبار السن أن يكون مخلصاً للقوانين وللعرف ، وألا يهجر دولته وأن يظل على الدوام مستعداً للذود عن حياض وطنه ، وأن يعمل على تنميته بتثقيف نفسه وبالنجاح فى أعماله الخاصة . وقد كانت أمام الآثينى الحر الفرص لاستمرار ثقافته فى النحت والتصوير والفن المعمارى والدراما .

وجلس الآثينيون فى ظلال الأشجار يتجادلون ويتناقشون فى كل ما يهم دولتهم وطرقوا أبواب الأدب والفن والحكومة والسياسة والفلسفة . وكانت هذه الجلسات الظليلة ، والمناقشات الممتعة فاتحة التفكير الذى نما وتطور ، وما زال يؤثر فى أفكار العالم إلى اليوم .

أثينا فى عصر الانتقال : (من حوالى ٦٠٠ ق . م . إلى الغزو المقدونى فى

٣٣٨ ق . م) . كان من نتائج تربية آثينا فى عصورها القديمة أن اكتمل نمو الفرد وظهر التقدم القومى بصورة لم ير التاريخ لها مثيلا من قبل . وقد بلغ هذا العصر ذروته أيام بركليس .. وبدأ اتجاه نمو تمجيد الفردية إلى درجة أدت فيما بعد إلى أن أصبحت الدولة فى خدمة الفرد . وترجع أسباب التغير فى هذا الاتجاه الخطير إلى :

١ — عوامل سياسية : فقد استبدلت قوانين سولون بدستور ديموقراطى من وضع كليستنيز عام ٥٠٩ ق. م ومنح كل سكان آثينا الأحرار لقب « مواطن » وأصبح من حق « الجمعية العمومية » نفى كل مواطن خطر على الصالح العام عن طريق الاقتراع السرى . وقد استطاعت آثينا هزيمة الفرس ، وتزعم حلف ديليان عام ٤٧٧ ق. م ، وتحول الحلف إلى إمبراطورية وبدأ الذهب يدخل بوفرة خزائن الديموقراطية . وتمتع الأفراد بحريات أكثر للعمل وللكسب. على أن الجديد فى سيطرة آثينا أنها لجأت إلى أساليب الإقناع والديباوماسية أكثر من التجائها للقوة للاحتفاظ بسيادتها . وقد أدى هذا إلى الاهتمام بتكوين المواطنين القادرين على المجادلة والإقناع .

٢ — عوامل اقتصادية وسياسية : مدت آثينا ذراعيها باتساع رقعة زعامتها وإرسالها مندوبيها وتجارها والمتكلمين المجادلين من أبنائها يحملون معهم فكرة التآخى والوحدة بين الشعب الإغريقى المقسم إلى دويلات عديدة . وقد ظهرت طبقة من المعلمين اسمهم « السفسطائيون » أو الرجال الحكماء أو المدرسون المتجولون يعملون حيث يجدون تلاميذ قابلين دفع ثمن دراستهم . ومن التجار والرحالة والزوار والسفسطائيين والسفراء واتصالات بين الدويلات بعضها بالبعض الآخر ، ثم فوق كل هذا التسامح فى المناقشة وإبداء الرأى مما أدى إلى نقد للأفكار القديمة ، من كل هذا وذاك أصبحت آثينا قلباً كبيراً ينبض بالحياة الفكرية ، ومركزاً مضيئاً للتفكير الحر.

٣ — العوامل الأدبية : وتتمثل فى الدراما بشقيها المأساة والملهاة . وقد عرفت آثينا أدب المأساة (التراجيديا) الذى يدور حول مشاكل دينية

وأخلاقية واجتماعية ، وشخصياتها من الآلهة والأبطال الخرافيين ، وتدور موضوعاتها حول الصراع بين الواجب والهوى . ثم بدأت الهزليات (الكوميديا) تنتشر فى النصف الثانى من القرن الخامس وتهاجم فى نقد ساخر المظاهر الخادعة من غش وسفه وتبذير وفساد ، وكان هذا دليلا على غلبة الميول الشخصية على الواجب فى مضمار الحياة العملية .. والأدب عبر عن الواقع ، والواقع كان يؤكد الفردية . ولذلك فان التربية أكدت الفردية .

٤ ــ العوامل الخلقية والدينية : لم يلعب الدين فى المجتمع اليونانى نفس الدور الذى لعبه فى المجتمعات الشرقية ، فلم يكن أساسياً لتقدمهم الاجتماعى ولكنه مع ذلك أمد الحكومات ببعض المساعدة وزاد من قدسية الأسرة وخط للناس طريقاً للحياة ليس قوامه الراحة ولين العيش والمتعة الشخصية أو العظمة الذاتية ، ولكن العمل للصالح العام (١). ثم بدأ الناس ينبذون الاتجاهات القديمة والخرافات ولم يعد مستقبل الإنسان فى رأيهم مسيراً بارادة الآلهة أو رغبة السماء ، كما زال الاعتقاد فى تدخل الآلهة فى حياة البشر . ثم نشب الصراع بين المحافظين على التقاليد والنظم وبين المتشككين فيها الذين عمدوا إلى هزها هزاً عنيفاً .

٥ ــ العامل الفلسفى : وكان لابد من طريق لتفسير الكون وما فيه بعيداً عن التفسيرات التى أوردتها الأساطير والحكايات الخرافية ، وخاصة بعد أن انكشف الغطاء عن الآلهة وقدراتها . وأورقت شجرة الشك التى تولاها السفسطائيون ، شك فى كل ما جاء به الفلاسفة السابقون مثل هيرقليط وزينو ، بل إن جورجياس أنكر وجود الأشياء قائلا : إنه إذا فرضنا وجودها فليس من الممكن معرفتهما ، وإذا فرض أنها كانت موجودة ومعروفة وأمكن معرفتها ، فمن غير الممكن إيصال العلم بها إلى الغير . وتفشى بين الشباب الاعتقاد بأن الإنسان أو الفرد هو مقياس كل شىء .. وهذا يعنى أن معيار الصدق ومقياس الحقيقة وطبيعة المعرفة أمر ذاتى . كما أن الفضيلة والحكمة

---

(١) مغرو ، بول : المرجع السابق ــ ص ١٩٧ .

يمكن الوصول إليهما عن طريق التفكير أو المعرفة لا عن طريق التقاليد الموروثة(١).

وقد تزعم حركة التمرد على التقاليد جماعة السفسطائيين ، ولم يكونوا من أبناء آثينا فقط ، ولكنهم يونانيون متجولون احتكوا بكثير من الحيوانات اليونانية والشرقية ودرسوا عن القوى الطبيعية وظواهرها والحياة الاجتماعية بمحاسنها ومثالبها والحياة السياسية بقوتها وضعفها . وكانوا خطباء مفوهين ومناقشين مقنعين ، وسرعان ما جذبوا إليهم الشباب الذى شاقه تعلم الخطابة والبلاغة وأصول الحوار والمناقشة . ولكن المحافظين من المبقين على التقاليد هاجموهم على أساس أنهم يدعون المعرفة فى كل شىء ، وأيضاً لأنهم يتقاضون أجوراً لقاء الخدمات التى يقدمونها للشباب ، ولذلك فقد اتهموا بالإلحاد وتعليم المبادىء اللا أخلاقية . ويدافع السفسطائيون عن أنفسهم قائلين إنهم يناقشون الأخلاق والدين من وجهة نظر تختلف عما ألفه المحافظون والرجعيون أصحاب الأفكار المصطبغة بالتعصب والتزمت ، فليست هناك كما قال فيلسوفهم بروتا جوراس أفكار ولا مقاييس عامة .

وبانتشار الأفكار الجديدة كان لابد للتربية أن يناالها تغيير ، فان الفترة التى كان يقضيها الشاب الآثينى بين سن ١٦ سنة إلى ١٨ سنة والتى كانت تكرس للتربية الرياضية العنيفة أصبحت تكرس للتدريب العقلى الراقى . فيجمع السفسطائيون المريدين من الشباب فى أى مكان .. فى الطريق .. فى الملعب .. فى غرفة ، ويتلقى الشباب ضروب المعرفة .

وانتشرت الاتجاهات الجديدة التى ولدها السفسطائيون فى المدارس الابتدائية فأصبحت التربية تعمل على تنمية اعتداد التلاميذ بأنفسهم واللباقة فى الحديث والمرح والحرية فى السلوك . بل تغير عدد أوتار القيثارة واستخدمت آلات موسيقية جديدة كالناى ، وقلت الرياضة البدنية ، واستخدم ماء دافىء فى الحمامات ... بهذا بدأ العنف والشدة يتسربان تدريجياً من حياة الأفراد .

(٢) فتحية سليمان : المرجع السابق - ص ٥٠

غير أن هذا اللون من التربية أدى الى انتشار اللامبالاة بين الأفراد وانحلال خلقي وتفكك فى روابط الأسرة وسعى مستمر وراء المال وجمعه . ووقف نفر من الرجال يرون هذا الضياع والسقوط ويتطلعون إلى المعابد الضخمة وإلى المسارح التى شهدت روائع سفوكليس ويوريبيديس وأرستوفان.. ثم إلى بقايا أسطول جبار هزت به آثينا إمبراطورية فارس العاتية .. يرون كل هذا أصبح فى أيدى أجيال غابت عنها الأخلاق التى شيدت ذلك المجد .

ثم شموس أشرقت محاولة تبديد الظلمات : سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو .

من فلاسفة الإغريق

فى طبيعة العملية التربوية التغير ، بمعنى أن التربية ليست جامدة ولكنها تتشكل وتتطور حسبما تمليه الظروف ، وهذه الطبيعة المتغيرة تحتم الحاجة إلى علامات للطريق لتوجه أنشطة التربية ، وتلجأ هذه العلامات إلى الفلسفة تستوحى منها . ولأن التربية تهتم بما سيكون عليه الإنسان فعليها أن تتساءل : ما أهداف هذا الإنسان ؟ ثم تتساءل عن ما هية الخير ، ما هى ؟ وهذا ما نبحث فيه الفلسفة تحت عنوان الأخلاق . ولكن كيف يتأتى للإنسان أن يعرف الخير ؟ ومتى يستطيع الإنسان التأكد من أنه يعرف؟بل ما المعرفة؟وكيف يتأكد المربى من الصدق ؟ وما الحق ؟ وهذا فرع آخر تبحث فيه الفلسفة عن المعرفة . وثمة مشاكل أخرى من نوع مختلف ، فما طبيعة العالم الذى تمارس فيه التربية ؟ هل هو هائج متحرك أو راكد ساكن ؟ هل من الواجب أن يتعلم الإنسان ليومه أو لغد آت فى المستقبل ؟ ثم ما طبيعة الطبيعة البشرية للمتعلم ؟ وهذه أسئلة تتعلق بالوجود أو الواقع . هذه وغيرها من المسائل هى التى تكون مشاكل فلسفة التربية .

ويرى البعض(١) أنه لا يوجد شىء اسمه فلسفة التربية ، وإنما توجد فلسفة ، فوجهة نظر الفرد عن المدارس والتدريس إن هى إلا امتداد لفكرته عما يحيط به . ويرون أن فلسفات التربية هى تقريرات عن تضمينات الحياة فيما يختص بتنشئة الفرد . ولسنا بصدد مناقشة جدلية عن تسمية ما ، ولكن الذى يهمنا أن نقرر أن الفلسفة تهتم بأمور الحياة والموت ، وتطرح أسئلة عديدة محيرة ومقلقة لمعلوماتنا عن الإنسان والتاريخ ، ولكنها أسئلة لا يمكن تجاهلها طالما أن الثقافات تتعرض لعقبات وبديلات تدفع الناس للتفكير ، ثم يسلكون بناء على تفكيرهم .

---

(١) Sayers, E.V. and Madden, W. : Education and the Democratic Fatih, p. 3.

والتربية هى الأخرى تتعرض للمشاكل والعقبات والبديلات ونواحى الاختيار ، فهى عامل مشترك فى كل أوجه الثقافة البسيط منها والمعقد . وهى بهذا لا تستطيع أن تتخلى عن الفلسفة ، كما لا يمكن للثقافة أن تتجاهل الفلسفة .

ما الفلسفة ؟ هى تعبير عن المعتقدات ووجهات النظر . والسؤال هو متى نتفلسف ؟ كثيراً ما حاولت أنت وغيرك أن تصوغ فى تعبيرات من خبراتك آراء معينة تهمنا كمعتقدات عن الدين ، عن الحب ، عن حرية الرأى ، عن السياسة .. الخ ، وكل منها تحوى أسئلة مثيرة للتفكير ، كما تثير اهتمام الكثير من الناس فى كل مكان . وتوجد فى المجتمعات آراء مختلفة يتبناها أو تصدر عن أفراد يحاول كل أن يعبر عن رأيه فى موضوع ما . هذا التعبير عن الرأى قد نطلق عليه فلسفة أوأى إسم آخر ، ولكن يحق لنا القول إننا جميعاً نتفلسف(١) عندما نحاول أن نعبر عن الأشياء التى نعتقد فيها والمرتبطة بحياتنا وعلاقتنا بغيرنا

وجماعة المربين كجماعة فى المجتمع لها معتقداتها وآراؤها التى تسعى إلى استخدامها وتحقيقها ، فعندما يتفلسفون عن المدارس فانما هم يركزون على ناحية مهمة تهم معظم أفراد الشعب . على أن بعض المربين لا يسمون هذه المعتقدات بالفلسفة ، قائلين : إنهم ذو وعقول عملية ، بل إن بعضهم يؤمن بما يسمى « علم التربية » كتحد صارخ لما يذكر عن فلسفة للتربية ، أو فلسفة على وجه العموم .

ومع ذلك فالفلسفة لا تنفصل عن خبرة الحياة ، وهى متضمنة فيها ولايعبر عنها بشكل ظاهرى ولكنها موجودة وراء تفكيرنا وتصرفاتنا ، بل هى معنا فى آداء واجباتنا اليومية . فكل فرد له وجهة نظر ، وفى كل وجه من أوجه الحياة المادية أو الروحية أو العادية أو المهنية نؤمن بأشياء معينة عن المناشط التى نؤديها .

وفى الحقيقة إننا لا نستطيع أن نعمل دون معتقدات نؤمن بها ونسلك على

---

(١) Brameld, Th. : Philosophies of Education in Cultural Perspective, pp. 19-27.

هديها ، فالتاجر مثلا يعمل ويتصرف ليحصل على ربح ، وخلف كل تصرفاته تكمن هذه الفكرة . كما أن خطيب المسجد مؤمن بالإسلام وتعاليمه . فلا يعيد النظر فى هذا الإيمان كل يوم جمعة قبل الصعود إلى المنبر . وكذلك المربى تحدد سلوكه وجهة نظر معينة عن التربية .

كل منا إذن له فلسفة ويتفلسف ، وإذا كان هذا حال المدرس فيجب عليه أن يتفهم بعض الآراء الفلسفية التى قد يقتنع ببعض منها اقتناعاً يجعله يؤمن بها ، ومن ثم تشكل وجهة نظره أى فلسفة . والجدير بالذكر — بل ما يجب أن يؤكد عليه — الحرص فى تخير وجهات النظر الفلسفية مما لا يكون شاذاً غريباً عن ظروفنا الاجتماعية ، فقد يحلو للبعض أن يتخير غير المألوف حتى يتحقق له الظهور بين غيره وأقرانه . إن إعمال العقل والتفكير المتزن أمران لازمان للباحث عن فلسفة للتربية يؤمن بها ويسلك على هديها .

السوفسطائيون وسقراط

اهتم الإغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد بمشاكلهم التربوية ، فقد بدأ بعض المفكرين يفحصون طرائق الحياة والنظم الاجتماعية التى عاشها الإغريق قروناً طويلة ، ولاحظ لهم أن ثمة تغييرات قمينة بالحدوث . خاصة بعد الحروب التى خاضوها والانتعاش الاقتصادى الذى فاض عليهم ، كان لابد إذن من تعديلات اجتماعية ، فالنظام الموجود وقتئذ أصبح لا يناسب ما طرأ على المجتمع من تغييرات . وتطلعوا إلى التربية ونظامها . كيف يتعلم الأحداث ؟ وماذا يتعلمون ؟ إن العادات والتقاليد القديمة أصبحت غير مناسبة ، كما أن الاتجاهات الجديدة لا ترضى جميع المواطنين ، كان هذا هو الموقف الذى مهد الطريق للفلسفة لتقول رأيها .

وكان السفسطائيون هم أول من تصدوا لمشكلات النظرية التربوية التى تمخضت عن القلق الاجتماعى . وكانوا من أشد المهاجمين للنظم القديمة التى لم تعد تلائم أحفاد الغالبين ، وكان ملاحم المفكر فى إطار من احتياجات الأفراد الذين ذهبوا إليهم طالبين العلم والمعرفة ، وقالوا : إن الإنسان هو مقياس الأشياء، ثاروا على التقاليد القديمة التى كانت هى مقياس الأشياء . ودفع لهم طلاب العلم ثمن ما يتعلمونه ، غير أن ما يؤخذ على السفسطائيين أنهم يدافعون عن وجهة نظر تتناسب مع من يدفع لهم ، فقد يؤيدون رأياً فى وقت ، ويؤيدون نقيضه فى وقت آخر .

وقد جذبت طريقة السفسطائيين الشباب المتحمس . وأغضبت المحافظين وكبار السن ، وقد احتقرهم البعض لأنهم اتخذوا من العلم سلعة يبيعونها . وخافهم الكثيرون لما فى آرائهم من ثورة على القديم والمتعارف عليه . ومع ذلك فقد هرع إليهم الشباب لما اتسمت به آراؤهم من حرية وانطلاق ، ولما أضفوه على الفرد من تمجيد وإعزاز ، فقد عملوا على تحرير العقل من الجهالة والروح من الخوف ، والجسم من الوهن ، لقد عملوا على نمو الإنسان ككل ،

ونسب إليهم المناصرون أنهم كانوا دعاة الحرية البشرية(١) .

وكان السفسطائيون يعلمون الحساب والهندسة والفلك والتاريخ الطبيعى والنحو والبيان والتاريخ والأساطير والمنطق والسياسة والأخلاق وفقه الدين والرسم والموسيقى والتكتيك الحربى ، ولكنهم ركزوا على البيان ، أما بقية المواد وغيرها فكانت تهدف إلى مد المتكلم بحصيلة من المعلومات تفيده فى مناقشاته . ولم يعلم السفسطائيون المنطق حرصاً على معرفة الصدق والحق ، ولكن للفوز فى مناظرة أو مناقشة كلامية . وهذا ما سمى بالسفسطة . وكانوا ينكرون وجود الموجود أو الحقيقة الموضوعية ، وأن رأى الفرد هو الصدق الوحيد ، أليس الإنسان هو مقياس الأشياء ؟

ولكن المحافظين وأنصارهم ردوا على هجوم السفسطائيين قائلين إنهم جماعة من المنافقين الذين يتذبذبون فى أقوالهم حسبما يدفع لهم ، وهاجموا طريقة السفسطائيين القائمة على التفكير ، منكرين على الإنسان قدرته على الفضيلة أو الكرامة عن طريق الطرق العقلية والجدل . وأكد المحافظون أن معيار الفضيلة تحدده أشراف القوم بما يسلكونه . والفضيلة فى نظرهم تورث ويمكن تعلمها لمن يعيش مع الأشراف متتلمذاً عليهم فى سلوكهم ، فاعلا النبيل من الأعمال ، ولكن لا يمكن تعلمها عن طريق التفكير والذكاء . ومعنى ذلك أن الأسلوب الديموقراطى السفسطائى لتعليم الفضيلة لجماهير الشعب — كان لابد وأن يفشل فى رأى علية القوم .

وظهر الصراع بين المحافظين وآرائهم وبين السفسطائيين وآرائهم ، صراع بين أرستقراطية وديمقراطية ، وقد أولى سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ م (٢) هذا الصراع اهتمامه الكبير ، وهو أعظم مفكرى آثينا فى القرن الخامس . وقد نشأ سقراط نشأة متواضعة ، فكان متجهاً بحكم نشأته ناحية الديموقراطية . وقد رأى سقراط الحاجة إلى تربية من نوع ممتاز ، تربية إنسانية متجهة إلى الإنسان

---

(١) Mulhern, op. cit., pp. 144-149.

(٢) تحديد سنة تولد سقراط فيها أقوال كثيرة ، وإن كان عليه أنه ولد عام ٤٦٩ ق.م.

ويكون موضوعهاالرئيسى الجوهر الروحى للإنسان . ولكنه لم يقصد من هذا ما قصده السفسطائيون بقولهم إن الإنسان مقياس كل شيء ، ولكنه قصد إلى القول بوجوب أن تكون المعرفة مستقلة ، أى أن عقل الإنسان يجب أن يبحث فى الأشياء باستقلال وحرية كاملة ، وأن يحكم كل ما هو موروث . فلا قيمة للأفكار أو العقائد من حيث هى قديمة أو حديثة ، ولكن تتأتى قيمتها من حيث أنها تعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الأشياء . ويختلف سقراط عن السفسطائيين فى أن « الأحكام التى يصدرها العقل أحكام موضوعية صادرة عن طبيعة الأشياء نفسها ، وليست أحكاماً صادرة عن الهوى الفردى كما انتهى إلى ذلك السفسطائيون »(١) .

أما عن منهج سقراط الفلسفى فكان يبدأ بادراك الإنسان لنفسه ، أى يبدأ البحث بادراك الإنسان لذاته لكى يعلم الفرد هل لديه علم صحيح أو أن ما عنده إن هو إلا علم مشوه ، أو أنه جاهل تماماً . وكان سقراط يعمل على أن يثبت لمتحدثيه أنهم جهلة ، ومن الجهل تتكون النقطة الأولى للبحث الفسلفى . ويظهر سقراط جهله بالموضوع ، ثم يلقى أسئلة قد تظهر لهم أنها ساخرة ولكنها تنتهى باثبات أنهم إذا علموا شيئاً فهو غير صحيح ، وكثيراً ما كان يثبت للمتحدث أنه يناقض نفسه . ومن الركائز التى ترتكز عليها قوة سقراط أنه فى محاولته للبحث عن الحقيقة ، حاور غيره ممن ادعوا العلم ، وباستخدام طريقته كتشف أنهم لا يعلمون ، ولكنهم يدعون العلم ، أما هو فيعلم أنه جاهل ، اوهو يعلم بأنه لا يعلم ، وهذا علم صحيح .

ويبدأ سقراط خطوة ثانية وهى التوليد — وكان سقراط يقول فى هذا المعنى إنه يحترف صناعة أمه ، وكانت قابلة ، إلاأنه يولد نفوس الرجال — فيسأل من يحاوره عما يعرف فى مسألة من المسائل ، ويرد المحاور فى ثقة واعتداد ، ثم يبدأ سقراط أسئلة كان قدأعدها بحيث يختلط الأمر على محاوره فيتناقض نفسه . وكان سقراط « يستعمل دائماً طريقة توكيد البرهان عن طريق

---

(١) عبد الرحمن بدوى . أفلاطون : ص ٢٨

تفى العكس . فسقراط حين كان يبحث فى تعريف مسألة من المسائل ، يأتى بكل الأشياء التى تضاد هذا التعريف ، فى الظاهر على الأقل .. فمثلا إذا سأل أوتيديموس ما الظلم ؟ يجيب أوتيديموس بأن الظلم هو أن يكذب الإنسان وأن يخدع وأن ينهب .. الخ . فيقول له : ولكن هل يعد ظلماً أن يكذب الإنسان على عدوه أو يخونه ، أو ينهبه ؟ حينئذ لابد من تصحيح التعريف الأول . وهذا التصحيح يتم بأن يقول أوتيديموس : إن الظلم أن يفعل الإنسان هذه الأشياء ضد أصدقائه . وهنالك يجيب سقراط بأن ذلك لا يتم فى كل الأحوال : فهلا يعد الكذب فضيلة حينما يكون باعثاً على الشجاعة أوحاثا على طلب العلم ، أو مانعاً صديقاً من أن يستخدم سلاحاً لانتحاره ؟ حينئذ يجيب أوتيديموس بأن الظلم إذن أن يرتكب الإنسان هذه الأشياء ضد أصدقائه أيضاً حينما يريد الإضرار بهم . وهكذا يستمر الحوار (١)».

وكان سقراط يحاول دائماً الاستفادة من الآخرين ، وأن يساعد الإنسان للوصول إلى تعريف الشيء تعريفاً صحيحاً ، وكان سقراط يتعلم بينما هو يعلم عن طريق الحوار .

وكان سقراط يستعين بالاستقراء ويتدرج من الجزئيات إلى المعانى أو الأحكام العامة ، كما أن سقراط آمن بأن الإدراك الحسى هو أساس المعلومات جميعاً . ولأن هذا الإدراك يختلف باختلاف الأفراد ، فان المعلومات التى تجيء عن طريقه مختلفة ، فنحن لا نعرف عن الحقيقة إلا الصور المختلفة التى تقدمها لنا الحواس . ولذلك اتجه سقراط إلى بناء تحصيل المعرفة على العقل لا على الحواس معارضاً بذلك آراء السفسطائيين . ويرى سقراط أن العقل عامل مشترك عند جميع الناس ، وما دام العقل أداة المعرفة ، فالحقائق الخارجية ثابتة لأن الناس جميعاً يرونها بمنظار واحد ، هو العقل الذى لا يختلف إدراكه فى شخص عن آخر (٢) وكان رأى سقراط هذا هو الأساس الذى نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية « Idealism » .

---

(١) عبد الرحمن بدوى . المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود . قصة الفلسفة اليونانية ص : ١٢١-١٢٢ .

ويذكر أن سقراط انصرف عن البحث فيما يتصل بالطبيعة والآلهة ، موثراً أن يدرس الإنسان نفسه أولا ، ثم يدرس المتصل بالإنسان ، وكان يرى أن عقل الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى البحث فى الطبيعة والإلهيات .

ورأى سقراط أن الإنسان لا يمكنه أن يعمل الخير إلا إذا عرف ماهية الخير أى عرف الإدراك العقلى للخير ، فالعمل الأخلاقى مؤسس على المعرفة ويجب أن يصدر عنها ... بل إن الفضيلة والعلم شىء واحد فيستحيل أن تعرف الخير معرفة صحيحة ولا تعمله ، كما يستحيل أن تعمل الخير ولا تعرفه فيكفى فى نظر سقراط أن يعلم الإنسان ما الفضيلة حتى يكون بمنجاة من فعل الرذيلة ، وكل عمل شر إنما يصدر عن الجهل بالفضيلة ، لأن الإنسان لا يسعه إذا عرف الخير أن يفعل شراً (١) .

وانتهت حياة سقراط بمحاكمته ، فقد اتهم بانكاره آلهة اليونان . وكذا بدعوته لآلهة جديدة ، كما اتهم بافساد الشباب الذى سحرته آراؤه فالتفوا حوله . وزاد أعداء سقراط لأنه هاجم الديموقراطية منكراً انتخاب الزراع والصناع لمناصب الدولة ، كما أغضب الأرستقراطيين لما يبدونه من استبداد وظلم . ووقف سقراط أمام قضاته ، ودافع عن نفسه مشفقاً على القضاة أنفسهم من موقفهم المخزى ومتألماً لما صارت إليه الأمور من فساد . وحكم عليه بالموت ، وسجن ثلاثين يوماً . وكان الغروب موعد إعدامه ، فأمر سقراط بالسم ، وتناول الكأس بثبات . وبكى تلاميذه فنهرهم بينما السم يسرى فى أوصاله ، وعندما أحس بالثقل فى ساقيه عرف أن السم ينهى أجله . وغشته برودة فى جسمه من أسفل إلى أعلى ، فاقداً الإحساس تدريجياً حتى توقف قلبه . غربت شمسه .

---

(١) المرجع السابق ص١٢٨ .

أفلاطون

عندما دخل الحواريون على أستاذهم سقراط فى ساعاته الأخيرة كان السجان قد فك القيود الثقيلة التى كبل بها السجين المحكوم عليه بالموت . وشهد الحواريون موت أستاذهم الذى آثر الشجاعة فى الموت على التذلل والضعف أمام قضاته . هكذا مات سقراط أمام تلاميذه ، ويقال إن أحدهم (أفلاطون) لم يشهد موته إما لمرضه كما يذكر هو ، وإما لأنه لم يستطع أن يقاوم الألم الذى كان سيعانيه لو أنه شهد هذه النهاية .

ويذكر أن أفلاطون ولد بين سنتى ٤٢٩ — ٤٢٧ ق . م من أسرة أرستوقراطية موسرة . وكان على النقيض من أستاذه الذى تتلمذ عليه فى ثمانى السنوات الأخيرة من عمره . فبينما كان سقراط دميم الخلقة قبيح الوجه ، كان أفلاطون حلو المحيا ذا جسم رياضى ممشوق . وكان عمره عشرين عاماً عندما تتلمذ على سقراط وجلس إليه بينما كانت الحرب بين اسبرطة وآثينا مشتعلة . وزعزعت هذه الحرب البلبونيزية دعائم القوة فى آثينا ، بل وزادت الديمقراطية فى سيادتها فأمسك الدهماء بمقاليد الأمور ، وعاثوا فساداً ، حتى إذا انتهت الحرب دانت السيادة للأرستوقراطيين الممثلين فى ثلاثين طاغية . وأراد هؤلاء أن يصلحوا ما فسد ، فعمدوا إلى البطش والقسوة ، وعاشت آثينا ترتجف .

وقد شهد أفلاطون حكم الدهماء وحكم الأرستوقراطيين ، وكلاهما فشل ، وكان ذلك قبل أن يجلس إلى أستاذه سقراط يحاوره . ولما لم يكن هناك إلا أحد أمرين فى السياسة : الديموقراطية أو حكم الأقلية — وبعض هؤلاء كانوا أقاربه وكلاهما فشل — فقد ولى أفلاطون وجهه شطر الشعر ينظمه ، حتى تعرف إلى سقراط ولازمه . أما ما نظمه من شعر فقد أحرقه فيما بعد .

وبعد موت أستاذه رحل ، بعد أن لفت الأنظار إليه بدفاعه عنه ومناداته ببراءته وعظمته وعبقريته ، وطلعت أقاويل عنه وجد منعها أن الخير له فى الترحال والسفر . وطاف بايطاليا حيث جلس إلى الفيثاغوريين وأخذ ما

يعلمونه ، ثم أقام ببلاط الملك ديونيسيوس فى صقلية . ولما علم هذا الملك بما يتكلم عنه أفلاطون فى موضوعات الأخلاق والفلسفة عموماً ثار غاضباً . وأخذ أتباعه أفلاطون ليباع فى سوق العبيد ، ولكن رجلا من محبى الفلسفة أنقذه . ويقال إن أفلاطون زار مصر ضمن جولته التى استمرت عشر سنوات عاد بعدها إلى آثينا . ويقال إنه أمضى فى رحلته اثنتى عشرة سنة .

ثم عاد أفلاطون إلى آثينا ليستقر فيها رجلا أخذ الحكمة عن سقراط ثم تجول فى الأقطار ينهل من الفلاسفة والحكماء . عاد إلى آثينا معلماً وفيلسوفاً ، ولكنه لم يتجول فى الطرقات و الساحات ويقف يناقش كما كان يفعل أستاذه سقراط ، بل اتخذ له ملعباً فى شمال شرقى آثينا كان يسمى باسم أحد الأبطال القدماء هو أكاديمس وكان فى منطقة ذات أشجار على شاطىء نهر ، وأطلق على هذا الملعب اسم الأكاديمية . وتكأكأت الوفود إلى هذا المكان الجميل أربعين عاماً . وفى خلال هذه المدة كتب أفلاطون الكثير وعلم الكثيرين . وبفضل أفلاطون تقدمت الفلسفة ، فقد أتيح لها الهدوء والدراسة العميقة المتصلة . وقد علم أفلاطون وكتب فى كل ما يهم الناس ، عن تحسين النسل ، والشيوع والاشتراكية ، ومساواة المرأة بالرجل فى الحقوق جميعاً ، والحريات فى القول والرأى والعلاقات الجنسية ، وتأميم الثروة ، وغيرها . وقد صاغ كتبه فى أسلوب الحوار متخذاً من سقراط بطلا فى الكثير من المناقشات المكتوبة ، مازجاً بين فلسفته وفلسفة سقراط حتى لا تستطيع أن تميز بينهما فى كثير من المواضع (١) .

وعلم أفلاطون آراءه فى أكاديميته ، كما ساعده أساتذة آخرون مثل — أكسينوقراطيس وأرسطو الذى كان أستاذاً للخطابة . وقد وضع أفلاطون فى أكاديميته منهاجاً يدرسه الشباب حتى يتمكنوا من إدارة أمور الدولة إدارة سليمة صحيحة . بل إنه كان يأمل أن هؤلاء الشباب سيقيمون صرح الجمهورية

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٦٢–٦٥

التى تصورها ، الجمهورية التى يحكمها الفلاسفة حتى تستقيم الأمور ويسود العدل والإخاء والحق(١) .

ومن حسن الطالع أن كل كتابات أفلاطون بقيت حتى وصلت إلينا ، إلا أن بعضها أضيفت إليه إضافات . وكتب أفلاطون بطريقة الحوار إلا إلى مقالة « التعريفات » والرسائل الثلاث عشرة . أما مؤلفاته فقد كتب جزءاً منها وهو يتتلمذ على سقراط ، وجزءاً أثناء رحلته ، والجزء الأكبر خلال قيامه بالأكاديمية . وأهم كتبه جميعاً هو كتاب « الجمهورية » أو « المدينة الفاضلة » .

نظرية أفلاطون فى التربية

غلبت على آراء أفلاطون التربوية آراؤه فى علم النفس التى تصف الروح البشرية أو الشخصية ، وآراؤه عن المجتمع البشرى وعن الفرد والمجتمع والعلاقات بينهما ، ولذا فجدير بنا أن ندرس هذه الآراء التى صبغت فلسفته التربوية ، ونبدأ بالآراء السيكولوجية .

أولا : الفرد

لم يخضع علم النفس زمن أفلاطون إلى التجريب الذى يخضع له اليوم ، ولم تبذل أية محاولة وقتئذ للتعبير عن العلاقة بين الدوافع والسلوك الملاحظ تعبيراً رقمياً ، وكيف يختلف السلوك تبعاً للمثيرات . ولكن عرف أن علم النفس لم يحرم من لمسات تجريبية . فلكى يفهم أفلاطون الشخصية اعتمد على الاستبطان وملاحظة الآخرين .

وقد استنتج أفلاطون من ملاحظاته أن النفس تتكون من ثلاثة أنواع من القوى أو القدرات أو الملكات ؛ : قوة العقل (التفكير) وموضعها الدماغ ، والغضب ، وموضعها الصدر ، والشهوة وموضعها البطن . والعقل هو هذا القسم من النفس الذى يمدنا بالقدرة على اكتشاف الحق والباطل ، وعلى إثبات أى الأقوال حق وأيها باطل . والتفكير هو الدافع والمؤدى لكل معرفة .

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود (المرجع السابق) ص ١٤٧-١٥٠

وأهم أنواع المعرفة التى يؤدى إليها نشاط العقل هو الحكمة ، هو معرفة طبيعة الخير والطرائق السليمة للحياة الصالحة للمجتمع والفرد . ولكن لا يستطيع العقل وحده التحكم فى الفعل البشرى ، فقد نعرف ما يجب عمله ومع ذلك لا نسلكه .

والقوة الغضبية عند أفلاطون هى الإرادة كما نطلق عليها اليوم ، وتنفذ ما يقرره العقل . فالقوة الغضبية مرتبة فى خدمة قوة عليا وهى القوة العاقلة فى كل ما تشير به إذا كان خيراً . وتوكيد النفس إذن — فى رأى أفلاطون — هو الذى يترجم المعرفة (أى الحكمة) إلى عمل ، أى فضيلة .

أما هذا الجزء من النفس وهو الشهوة فهو مرتبط بالوظائف الجسمية . ويميز أفلاطون بين نوعين من الرغبات توصف قوتها بأنها شهية ، وهى الرغبات الضرورية وغير الضرورية . والرغبات الضرورية هى اللازمة لبقاء واستمرار الحياة كالجوع ، والجنس ، والمأوى . أما غير الضرورية فهى لا تعمل على بقاء واستمرار الحياة ، بل تعمل على تزيينها وتزويقها ، كالطعام الفاخر والثوب المزركش والحلى . وتحتاج الشهوات لتسير فى طريق مرسوم إلى قوة توجهها وتساعدها .

ويأتى التوجيه بطريق غير مباشر من العقل والتفكير ، ويأتى مباشرة من القلب مركز القوة الغضبية ، فالحكمة التى يكتشفها العقل تعمل على تحقيق الشهوات الضرورية وغير الضرورية ، والإرادة هى القوة التى تنفذ ما تقوله الحكمة . ومع أن كل نفس بشرية فيها القوى الثلاث ، إلا أن الأفراد يختلفون ، بعض الأفراد قادرون على التفكير أحسن من غيرهم ، ولذا فلديهم المعرفة والحكمة . وقدرة البعض على التفكير أقل ، ولكن قدرتهم عل العملى أكثر ، وهؤلاء يستطيعون بالقوة الغضبية (الإرادة) أن يسيطروا على الشهوات . والنوع الثالث من الناس تفكيرهم قليل وقلوبهم ضعيفة ، وتظهر شهواتهم مسيطرة ، ولا يستطيعون كبح جماحها إلا بقوة من الخارج ، قوة أساسها الحكمة ، التى يفتقدها هؤلاء ، أو قوة أساسها السلطة المادية الرادعة .

وباختلاف الأفراد فى القوى ، يختلفون أيضاً فى المهن التى يصلحون لها . فحيث يكون للعقل الغلبة فصاحبه يصلح للمهن التى تتطلب الدرس والتحصيل والتفكير . وحيث تغلب الإرادة ، فالمهن التى تصلح لها هى ما تتطلب أعمالا بالقوة كالحرب والشرطة. أما حيث تسود الشهوات فخير ما يصلح لها هو التجارة والإنتاج حيث الربح وحيث تتحقق اللذات الشخصية .

ولقوى النفس تاريخ عند الفرد ، فهى كائنة منذ الولادة ثم تتيقظ بعد سنوات قليلة . ولا يستطيع العقل تقبل المعرفة والحكمة قبل سن السابعة عشرة ، أما الإرادة فهى غير ثابتة . والشهوات متقلبة . ومع ذلك فيستطيع العقل قبل سن السابعة عشرة أن يتقبل صور الخير والجمال والحق ، كما يمكن للإرادة أن تتعود على ما يتقبله العقل . وهذه بدورها تتحكم فى الشهوات على هدى توجيه العقل .

وتوزع قوى النفس بين الرجال والنساء ، ولا يؤثر الجنس فى فاعلية هذه القوى . ومعنى ذلك — فى رأى أفلاطون — أن المرأة تستطيع شغل مناصب الحكم والمسائل الاقتصادية والحربية واقفة على قدم المساواة مع الرجل. ويؤكد أفلاطون ضرورة إتاحة الفرصة لكل فرد ليعمل حسب إمكاناته قدراته حتى يتمكن من حسن استغلالها ، وعلى المجتمع أن يهيىء لكل فرد الفرص لاستغلال إمكاناته(١) كما أن أفلاطون قسم الشعوب بحسب تقسيمه قوى النفس : فاليونانيون يمتازون بسيطرة القوة العاقلة ، ويمتاز الشماليون بسيطرة القوة الغضبية ، أما الفينيقيون والمصريون فتسود عندهم القوة الشهوية.

المجتمع :

ويرى أفلاطون أن الحياة فى المجتمعات البدائية بسيطة حيث يعيش الناس حياة تلقائية يسودها السلام والهدوء ، موزعين الأعمال عليهم . أما فى المجتمعات المتمدينة فالحياة فيها معقدة ، وتوزيع الأعمال لا يتم بسهولة وبساطة ، بل

(١) Price, Kingsley. : Education and Philosophical Thought, pp. 20-23.

إن أخطاراً خارجية تهدد أمنها واقتصادياتها ، ولذلك فهى تلجأ إلى السلاح والحرب لتأمين أراضيها واقتصادياتها . بل تستخدم القوة والقوانين لحسن توزيع الأعمال على السكان . وفى رأى أفلاطون أن وظيفة المجتمع اقتصادية وحربية وتشريعية لسلامة الحكم ، ووجد مثالا لهذا المجتمع فى مدينة الدولة الإغريقية . وكانت مدينة الدولة — ويسميها البعض المدينة الحرة — محدودة المساحة وتشمل مدينة تحوطها بعض القرى الصغيرة . وهى تموّن نفسها اقتصادياً بقدر المستطاع ، وتتاجر خارجياً مع مدن أخرى . ويظهر أن أفلاطون لم يفكر فى دول كما نعهد اليوم من حيث المساحة وعدد السكان وتشابك العلاقات الخارجية .

ولكى تنجح وظائف المجتمع يجب أن يستشعر كل فرد السعادة فى عمله ، ولن يتأتى هذا إلا باتقانه هذا العمل ، فالصناع مثلا عليهم أن يجيدوا صناعاتهم وحرفهم حتى يقبل الناس على شرائها وبذلك يقتنون المال الذى يرضى شهواتهم وكذلك الأمر بالنسبة للشرطة والجيش ، فعلى كل عامل بهما أن يعتز بعمله ويسعد ويقبل عليه حتى يتحقق للدولة النصر الخارجى والأمن والنظام فى الداخل ، وإلا دبت الفوضى أو خضعت المدينة لسيطرة مدينة دولة أخرى وبذلك يتحطم مجتمعها . وعلى الجيش والشرطة العمل حسب قوانين الحكومة التى يتولاها الحكماء . وعلى هؤلاء أن يتمتعوا بالعقل والحكمة حتى تكون أوامرهم رشيدة متزنة ، ومحققة لخير المجتمع .

وبهذا يوجد فى المجتمع : العمال والصناع والمزارعون والتجار مكونين طبقة اجتماعية تعمل على خدمة الاحتياجات الاقتصادية للمجتمع ، ثم طبقة الجند والشرطة وعليها حماية المدينة الدولة من الخارج والداخل ، ثم طبقة الحكام الذين يهيمنون على المدينة عاملين على خيرها وموجهين الطبقتين الأخيرتين .

تدريب الأفراد

وعلى أساس نظرة أفلاطون السيكولوجية والاجتماعية أعطى نظاماً لتدريب الأفراد .

أولا : يجب أن يخضع المسئولون عن الحكومة فى المدينه لنظام تربوى يتكون من خمس مراحل .

١ — من الميلاد إلى سن السابعة عشرة : وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين ، ويربى الأطفال على أيدى أخصائيين فى دور الحضانة العامة بعيداً عن الوالدين. وفى الحضانة يهتم المشرفون بالتوالجسمى للأطفال مستغلين اللعب والرياضة فى ذلك . وخلال القسم الثانى يتعلم الأطفال القراءة والكتابة ، ويتدربون على التذوق الموسيقى الذى تشمل الموسيقى واللغة والأدب بالمفهوم الحديث . وإلى جانب ذلك يتعلم الأطفال والغلمان العلوم ، والتمرينات البدنية ، وتخضع (المناهج) التى يدرسها المتعلمون لرقابة الدولة خضوعاً كاملا فى محتواها وشكلها .

٢ — من سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة إلى سن العشرين : وفى هذه المرحلة يدرب الشباب تدريبات عسكرية وجسمية عنيفة .

٣ — المرحلة الثالثة من سن العشرين إلى الثلاثين : ويدرس فيها الشباب العلوم كالحساب والهندسة والفلك وغيرها . هذا إلى جانب دراسة الموسيقى .

٤ — المرحلة الرابعة من سن الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين : وتتميز بطريقة المناقشة والحوار فى دراسة عن العالم وطبيعة الخير .

٥ — المرحلة الخامسة من سن الخامسة والثلاثين إلى سن الخمسين : وفيها يعين الناجحون فى المرحلة الرابعة فى مناصب حكومية .

وفى سن الخمسين يختار المبرزون فى المناصب الحكومية لرفعوا إلى المناصب الحكومية العليا

ثانيا : يجب أن يخضع أصحاب الإرادة إلى نظام تربوى خاص بهم ،

ولكنه مع ذلك لا يجد أفلاطون مانعاً من خضوعهم للمنهج الدراسى لأصحاب العقل والتفكير حتى نهاية المرحلة الثالثة . ويلوح أنه من الضرورى لطبقة الجند دراسة عسكرية تؤهلهم للمناصب الحربية ، فالمهم فيهم نوع من الشجاعة ، وقدرة على تقبل أوامر وتوجيهات أصحاب العقل ؛ وإلا فإنهم يندفعون إلى أعمال يثيرها الطمع لتحقيق مكاسب اقتصادية خاصة بهم ، وبذلك يصبحون مصدر خطر دائم فى مجتمع متمدين .

ثالثاً : ويجب أن يخضع أصحاب الشهوات إلى نفس نظام التربية فى المرحلة الأولى والثانية وسوف تساعدهم هذه التربية على الخضوع لطبقة الجند وبالتالى لفئة المفكرين . كما أن تربيتهم سوف تساعدهم فى اتجاهاتهم الاقتصادية . وينتظر أفلاطون من نوع التربية الذى يخضع له أصحاب هذه الطبقة أنه سوف يكبح جماح شهواتهم .

فلسفة أفلاطون فى التربية

(أولا) الميتافيزيقيا والتربية :

فى مواطن كثيرة بكتاب الجمهورية لأفلاطون قال : إن العالم الملاحظ متكون من عديد من الأشياء وكل شىء له خاصيته ومكانه ويمتد منتشراً فى زمان معين . وكل شىء فى تغير مستمر فى صفاته وعلاقاته أو يتحرك من مكان لآخر ، وكل شىء ينتمى إلى طبقة طبيعية . فالشجرة التى نراها واحدة من هذه الأشياء فنحن ندركها بحواسنا ، وهى متميزة عما حولها ، وهى متغيرة (سقوط الأوراق ، النمو ، الثمار .. الخ) ، وهى تنتمى إلى مجموعة من النباتات . على أن كل شجرة يمكن أن تميز عن غيرها من نفس المجموعة ، ومع ذلك فيقول أفلاطون : إن كل الشجر يشترك (داخل مجموعة واحدة من الشجر) فى صفات عامة . فاذا اختلفت نخلة عن بقية النخيل فان لكل النخيل صفات مشتركة أو جوهر واحد يمكن أن نطلق عليه اسم (الفكرة) . وكما أن هناك (فكرة) للنخيل فهناك (فكرة) لكل مجموعة من الأشياء .

وللفكرة صفة العالمية والعمومية ، وتظهر فى مظاهر مختلفة وفى أمكنة

متعددة وأزمان متباينة . و (الفكرة) خالدة وليست متغيرة . فهناك أنواع كثيرة من النخيل فى مناطق مختلفة ، ولكن الفكرة واحدة . و (الفكرة) تتصف بالكمال والمثالية ، وقد نجد شجرة نخيل فيها عيب وأخرى قصيرة وثالثة مفرطة فى طولها ورابعة ثمارها شهية .. الخ ولكن فى ذهن عالم النبات صورة لشجرة النخيل كما يجب أن تكون ، وعلى أساس هذه الصورة يصف نخلة بأنها سليمة وأخرى بأن عيباً فيها .

و(الأفكار) يرتبط بعضها بالبعض الآخر فى نظام ، وعندما يبلغ العلم ذروته سوف تنتظم كل الأشياء فى نظام كامل ، وعلى قدر معرفة الإنسان فقد انتظمت (أفكار) الأرقام فى علم اسمه الحساب وانتظمت (أفكار) الحركة السماوية فى علم الفلك . و (أفكار) النغم فى الموسيقى .

وتقول نظرية أفلاطون الميتافيزيقية إن خلف كل شىء مدرك فى العالم نظاماً من الأفكار يفسر ما فى هذا العالم . وما ندركه بحواسنا فى هذا العالم صور لتلك (الأفكار) أو (المثل) . وإننا فى هذا العالم نرى نسخاً باهتة من هذه المثل . والمثل كائنة وموجودة حتى ولو فى هذا العالم .

ويظهر لنا تطبيق نظرية أفلاطون هذه فى مفهومه عن الإنسان الذى يجب أن يتحلى بقوة الفكر والإرادة والشهوة . وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع الذى يتضمن الوظائف الاقتصادية والعسكرية والتشريعية . ولهذا فان العلاقة بين المواطنين والدولة يجب أن تكون شبيهة بالعلاقة بين (فكرة) الإنسان و (فكرة) المجتمع ، وقد سبق أن وضحت مراحل التربية المختلفة التى اقترحها أفلاطون والمبنية على هذه العلاقة بين قوى الفرد ووظائف المجتمع .

(ثانياً) الأخلاق والتربية :

وتظهر فلسفة أفلاطون فى الأخلاق منعكسة على التربية فى نظريته العامة عن طبيعة الخير . وهذه النظرية تعتمد على فكرته الميتافيزيقية ، فقد رأينا أنه يتحدث عن نظرية المثل وأن الموجودات المدركة صورة أرضية من هذه المثل التى تتصف بالكمال والخلود ، ولذلك فانه يقول : إن الخير فى كل شىء

مدرك يتوقف على الدرجة التى يقترب فيها هذا الشيء من صورته المثالية أو يعبر عنها . ولنأخذ مثلا النخلة. فالخير فيها والجمال ليس سببه ما تضفيه علينا من ارتياح أو لذة ولا على أساس مقارنة النخلة بشجرة الجميز مثلا . ولكن الخير والجمال فى النخلة هو مدى اقترابها من صورتها المثالية .

وفى رأى أفلاطون أن المجتمع الخير هو المجتمع العادل . وبقدر اقتراب المجتمع بوظائفه الثلاث والإنسان بقواه الثلاث من المثالية الموجودة فى عالم المثل ، يمكن أن يتحقق العدل بدرجة تتناسب مع درجة الاقتراب من المثالية . ولهذا فقد وجه أفلاطون نظامه التعليمى ليحقق بقدر المستطاع هذا العدل والحق

(ثالثاً) المعرفة (الإبيستومولوجية) والتربية :

قال أفلاطون : إن المعرفة حالة عقلية تتميز بالتأكد من طبيعة شيء ما ، وهذا الشيء غير موجود فى عالم الواقع المتغير ، والتغير يجعل من المستحيل التأكد من طبيعته ولذلك فان الأشياء التى نعرفها بتأكد هى (الأفكار) فى علاقاتها المنتظمة .

وهنالك درجتان فى التأكد من المعرفة : التأكد القائم على فرض ، والتأكد المطلق . فما نعرفه عن العلوم والرياضيات هو تأكد فرضى لأن تأكدنا من صدقها يعتمد على تأكدنا من صدق الفروض التى اشتقت منها . أما التأكد المطلق فهو مرتبط بوعينا بفكرة الخير ، وهذا التأكد المطلق صعب المنال وهو يحول المعرفة الفرضية فى العلوم إلى مطلقات .

التطبيقات التربوية

تعرض أفلاطون فى كتابه (الجمهورية) و (القوانين) إلى مسائل متصلة بالتربية اتصالا وثيقاً . ولعل أكثر أشكال الوجود البشرى قيمة فى نظر أفلاطون هو التوافق بين الجمال والفضيلة عند الإنسان ، فهو يؤكد ضرورة التفاعل بين الجسم والعقل كأساس للتربية ، ثم يوسع نطاق هذا التوافق إلى أن يشمل التوافق بين الجماعات بل فى العالم الميتافيزيقى . ويرى أفلاطون

أن على الإنسان أن يوفق بين غرائزه وإراداته على هدى من مبادىء عالمية ، وأن يخضع سلوكه تلقائياً لفضائل أربع هى : الحكمة وكبح جماح الشهوات والشجاعة والعدل . وهذا هو المواطن المثالى لأنه يعرف كيف يحكم وأن يحكم بالحق .

وتؤسس الفلسفة الأفلاطونية فى التربية على هذه الفضائل الأربع . ويؤكد أفلاطون أن الفضيلة تتطلب اقتناعات خلقية ونوايا طيبة وضميراً حياً وقدرة على العمل السليم ، كما أن ارتباط الخلق والمعرفة لازمان وضروريان . وفى رأى أفلاطون أن الكمال البشرى مستحيل ما لم يعرف الإنسان كيف يحول نواياه إلى واقع .ولذلك فان بصيرة الإنسان فى طبيعة الحياة يجب أن تكون قوة دافعة فى تربيته ، وقد منح الإنسان وحده القدرة على الوصول إلى الكمال والسمو بنفسه من خلال تبصره ومعرفته نفسه ومحاولته للحياة الطيبة ، وهو قادر على تخطى عتبات ذاته الضيقة ويخضع مختاراً لقوانين عامة عادلة ، وهذا هو الإنسان الحر الفاضل .

ويرى أفلاطون أن التربية هى عملية توجيه وجذب الأطفال إلى الطريق الذى رسمته القوانين وأكدت عدالته خبرات ذوى العقول المفكرة المحنكة(١).

ولهذا فان أفلاطون فى كتابيه« الجمهورية » و « القوانين » كان يتصور مدينة مثالية فمزج بين فن السياسية والتربية ، لأنه وجد كليهما يهدف نحو تحقيق النظام الأسمى فى الحياة . وقد حاول بعض الكتاب التربويين الحديثين تقسيم أفكار أفلاطون التربوية على هدى من التقسيمات الحاضرة ، أى المدرسة الابتدائية ثم الثانوية ثم العالية . ولكن مثل هذا التقسيم مآله الفشل لأنه من العبث تفسير الماضى بعقلية الحاضر ، كما أن أفلاطون نفسه ألقى الأهمية الكبرى على روح العملية لا على شكلها التنظيمى .

أما عن نظام أفلاطون التربوى فقد ألمحت إلى صورة منه فى صفحة (١٠٧)، أما ما وراء هذا فهو فى رأيه تحويل عناصر الأمة الثلاثة لينصرف

(١) Ulich, op. cit., p.

كل فريق إلى ما أعد له . فاصحاب للشهوات يتجهون إلى ميدان العمل ، وأصحاب العاطفة إلى الحرب وهم الجنود ، أما أصحاب العقل والحكمة فيتجهون إلى الحكم وسياسة أمور الدولة . ويرى أفلاطون البدء بعزل الصغار عن الكبار حتى نبعد عنهم عادات آبائهم السيئة . ويجب أن تتاح للصغار جميعاً فرص متكافئة لينالوا نصيباً من التعليم ، لا يتميز واحد عن الآخر ، فان النبوغ والعبقرية ليسا وقفاً على طبقة دون أخرى(١) .

ويدرب الأطفال فى الفترة الممتدة للسنوات العشر الأولى على رياضة بدنية لتقوية أجسامهم ، إلى جانب دراسة الموسيقى لتهذيب الخلق وتدريب النفس على التوافق النغمى . على أن أفلاطون يحذر من الإسراف فى تربية الأجسام على حساب الموسيقى ، أو الإسراف فى ترقيق النفس بالموسيقى على حساب الجسم .

ويصر أفلاطون على أن تكون التربية فى مراحلها الأولى أدنى إلى التسلية منها إلى الجد ، لأن هذه هى الوسيلة التى يتعرف بها الكبار على ميول الأطفال الطبيعية ، ثم إن أفلاطون يضيف الأخلاق إلى الرياضة البدنية والموسيقى (أى تربية الجسم والعقل) . فهو يؤمن بالتكامل بين أفراد المجتمع وحتمية تعاونهم وأن يتعرف كل فرد دورة فى هذا المجتمع ، أى ما له من حقوق وما عليه من واجبات . ويلوح أن أفلاطون يقصد بالأخلاق هنا ما يطلق عليه فى المصطلح الحديث العلاقات الإنسانية وطرائق التعامل . ويهتم أفلاطون بالأخلاق على أساس أنها سوف تكبح جماح الشهوات عند الإنسان وتدفعه إلى طريق الحق والخير فتقل المشاجرات والمنازعات وبذلك لا تقوم ضرورة لقوات الشرطة لتقضى بين الناس وتقيم العدل ، وتحول أموال الشرطة إلى أبواب أخرى تعود على المجتمع بالخير .

وتعتمد الأخلاق على ركيزة يراها أفلاطون حتمية أيضاً وهى إيمان الناس باله محدد لا بقوة عليا مهيمنة ، أى بدين يهديهم سواء السبيل ، فيه من أساليب الثواب ما يشجع على عمل الخير ، وفيه من أساليب العقاب ما يكفل

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود (المرجع السابق) ص : ١٩٨-٢٠

سهى الضال عن غيه وشروره . وهذا الثواب والعقاب يعضده أفلاطون بحتمية خلود النفس حتى يطمئن المثيب إلى أعماله ويخاف المذنب شر أفعاله .

وتستمر هذه الدراسة إلى سن العشرين ، وفى هذه السن يستبعد من الشباب من يثبت أنه غير قادر على مواصلة الدرس والتحصيل ، وهؤلاء ينتظمون فى صفوف عامة الشعب الذين يكونون جماعات الزراع والعمال وأصحاب الحرف والمهن .

وهؤلاء وهم غالبية ، يكونون قاعدة تترسب فيها جماهير غفيرة تتحكم فيهم شهواتهم .

وبعد امتحان قاس صارم يسمح للناجحين بدراسة تستمر عشر سنوات تربى فيها أجسامهم وعقولهم ونفوسهم ، فهم يتعلمون الرياضيات والفلك ولكنهم لا يتعلمونها بقصد الكسب المادى أو العمل اليدوى ، وإنما للتمعن والتأمل المعنوى المجرد للعلوم البحتة ، فالقائد العسكرى يتعلم الأرقام حتى يستطيع تنظيم جنوده فى وحدات متناسقة فعالة .

وفى سن الثلاثين يجرى امتحان صعب ، وينضم الراسبون فيه إلى طبقة الشرطة والجند الذين يتولون الذود عن حياض الوطن داخلياً وخارجياً . وإعداد جيش وطنى قوى قصد به أفلاطون أن يكون درعاً للوقاية وقوة إرهابية للأعداء حتى لا يجسروا على تهديد الوطن . فالجيش للدفاع لأن أفلاطون كان يمقت الحرب والقتال .

أما الناجحون فهم يواصلون الدراسة ، رجالا ونساء ، فى الفلسفة لمدة خمس سنوات ، ثم يتدربون على الحكم الصالح وسياسة الدولة تدريباً عملياً فى خضم الواقع حتى سن الخمسين ، وهذه هى السن التى يصلح فيها الدارس أن يكون ملكاً فيلسوفاً ، إذ كان من رأى أفلاطون أن يقوم على حكم الناس الفلاسفة لقدرتهم على فهم إرادة الله على حقيقتها ، وهم القادرون وحدهم على تفهم الأسرار الإلهية وتبين مشيئة الخالق بل هم أعدل الناس وأكثرهم قدرة على نشر العدالة وتطبيقها . والحكام الفلاسفة منزهون عن الشهوات الدنيوية التى يعرفها أفراد الطبقة الدنيا ، فهم لا يتملكون ، ويتناولون طعامهم فى

مقاصف عامة ولا يسكنون القصور وإنما يبيتون فى قاعات مشتركة . وجل تفكيرهم موجه إلى إسعاد مواطنهم والعمل على راحتهم بنشر الخير والعدالة بينهم .

ينظر بعض المفكرين لآراء أفلاطون التربوية على أنها أفكار خيالية تقصد عالماً مثالياً كالمدينة المثالية التى كان أفلاطون يحلم بها . ولكن أحداً لا ينكر مدى ما لفلسفته من إشعاع غمرت به البشرية حيث أفادتها بخيرها وعدالتها وجمالها . ويشبه البعض أثر أفلاطون بالظل الذى يلجأ إليه العابر فى يوم قائظ ويجلس إلى جدار مبنى كنيسة ، ثم يحتمى من البرد بهذا المبنى ويجد فى داخله من الجمال والقدسية ما يريح نفسه ، ولكنه قد لا يسأل عن اسم الذى بنى هذه الكنيسة وأبدع بناءها إذ يختفى اسم صانع هذا المبنى وراء سحب التاريخ .

وأثر أفكار أفلاطون على التربية كما نعهدها فى المدارس أثر قليل . ومع ذلك فقد تأثرت مدارس الأديرة المسيحية وجامعات العصور الوسطى بآرائه . غير أن هذا التأثر هزيل إذا قورن بفيض أرسطو الكبير . ويلوح أن القلة هى التى فهمت عمق نوايا أفلاطون ، فرأى الغالبية أن مبادئه التربوية غير عملية ولا تصلح للمربى . ومع ذلك فهناك إعجاب بآرائه عن تعليم النساء ، وبمزجه بين التربيتين الرياضية للجسم والموسيقية للروح ، وباعتقاده أن التربية عملية مستمرة فيها جانب عملى واقعى ، وبفهمه عن الفيلسوف الحق .

ويجد المربون صعوبة أو حتى استحالة فى تنفيذ آراء أفلاطون التى غلفت بالمثاليات (اليوتوبيا) ، ومن المحتمل أنه هو نفسه كان يبتسم أحياناً للصورة المشرقة المتفائلة والخيالية التى كان يحلم بها ومع ذلك فكان ثمة أمل يراوده كما راود ملك صقلية الشاب ديونيسيوس الذى أرسل إليه ليجعل منه ملكاً فيلسوفاً ، غير أنه ضاق ذرعاً بأفلاطون وفلسفته وتعاليمه وكاد يبطش به لولا أن هرب .

لقد أعطى أفلاطون البشرية أملا وتفاؤلا ، تسعى إليه فى كل جيل عبر التاريخ لتحقق شيئاً منه .. ولو قليلا .

أرسطو

تربى أرسطو مع فيليب أبى الاسكندر الأكبر المقدونى ، وكانت ولادته فى سنة ٣٨٤ ق.م. من عائلة ثرية ، فكان أبوه طبيباً لملك مقدونيا . وقد ترك أرسطو مقدونيا إلى آثينا فى السابعة عشرة من عمره لينال تعليمه ، وفيها التحق بأكاديمية أفلاطون وتتلمذ عليه مدة عشرين سنة . وبعد وفاة أفلاطون ترك أرسطو آثينا إلى آسوس حتى دعاه فيليب ليقوم على تربية ابنه الاسكندر وكان ولياً للعهد . وعندما اعتلى الاسكندر عرش مقدونيا عاد أرسطو إلى آثينا وأنشأ بها مدرسته التى سميت الليسيه lyceum نسبة إلى المكان الذى انشئت فيه ، كما سمى أتباعه بالمشائين لأنهم أخذوا عنه عادة المشى أثناء تعليمه . ثم مات الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م. فى بابل وهو فى أوج نصره العسكرى ، وبموته تحطم ذلك السياج المتين الذى كان يحمى أرسطو من أعدائه الحاقدين وخصومه المغرضين ، فانتهزوا الفرصة وأغروا به العامة والجماهير واتهموه بالإلحاد وأنه لا يؤمن بآلهتهم ولا يقدم إليهم القرابين . ولما اشتد هياج الجماهير ضده غادر آثينا قائلا إنه يخشى من جناية الآثينيين على الفلسفة مرتين : أولاهما بالعدوان على سقراط ، وثانيتهما بالعدوان عليه . ولم يلبث أن مرض بعد هربه من آثينا بعام أو بعض عام شاكياً من معدته ، ثم عاجلته المنية سريعاً فى العام التالى من هربه أى فى سنة ٣٢٢ ق.م. وكان قد بلغ الثالثة والستين (١) .

وقد كتب أرسطو فى المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة وفى الفلسفة العملية ومن كتبه فى المنطق (٢) : المقولات ــ العبارة ــ التحليل بالقياس ــ البرهان ــ الجدل ــ الخطابة ــ الشعر .

---

(١) ماجد فخرى : أرسطو طاليس المعلم الأول . ص : ١٠ - ١٢
محمد غلاب : الفلسفة الاغريقية . الجزء الثانى . ص : ٧ - ١٠

(٢) لان أرسطو أول معلم لعلم المنطق الذى لم يكن قبله علماً فسمى أرسطو « المعلم الاول »

ومن كتبه فى الطبيعة (الكيان) وتعرف به الأمور العامة لجميع الطبيعيات و (السماء والعالم) عن أحوال الأجسام التى هى أركان العالم و (الكون والفساد) عن حال الكون والفساد والتوليد والنشوء والبِلَى و(الكتب الثلاث الأول من الآثار العلوية) وفيها الأحوال التى تعرض فى العناصر الأربعة قبل الامتزاج لما يعرض لها من أنواع الحركات والتخلخل والتكاثف بتأثير السموات فيها إلى (المعادن) وهو الكتاب الرابع من الآثار العلوية وهو عن حال الكائنات المعدنية و (النبات) و (طبائع الحيوان) و (النفس والحس والمحسوس) ويشتمل على معرفة النفس والقوى الداركة فى الحيوانات والإنسان . أما فى « ما وراء الطبيعة » فلم يرد إلا كتابه الشهير الذى اتخذ تلاميذه عنواناً له « ما بعد الطبيعة » لأنه وجد موضوعاً فى الترتيب بعد كتب الطبيعيات . وفى الفلسفة العملية كتب « الأخلاق إلى أوذيم » و « الأخلاق إلى نقوماكوس » وفيه ينقد نظرية المثل الأفلاطونية ، و (السياسة) .

من فلسفة أرسطو

فى النفس : يفرق أرسطو بين النفس بمعناها العام وهى المشتركة بين جميع الكائنات الحية ، وبين النفس بمعناها الخاص التى لا توجد إلا فى الإنسان . أما عن النفس بمعناها العام فيرى أرسطو أنها أولى صور الجسم الطبيعى المركب وهى مرتبطة به ، وهى ليست شيئاً مفترقاً عنه كما قال أفلاطون وبارتباط النفس بالجسم يجب أن ندرس قواها ووظائفها كجزء من الكائن الحى . ولذلك فان أرسطو يتكلم عن قوى النفس : النامية والحاسة والمحركة والناطقة . وأدنى هذه القوى النامية هى فى النبات الذى يتغذى ويتكاثر ، ويقتصر على هذين العملين . والحيوان يلى النبات فى الرقى إذ يتغذى ويتناسل ويحس ، فالحيوان يدرك بحواسه ، ويتبع وجود الحس الشعور باللذة والألم . وهذا يدفع الكائن إلى التنقل بحثاً عن اللذة أو اتقاء الألم . وهذا ما يفعله الحيوان الذى يستطيع الحركة على خلاف النبات . والإنسان يلى الحيوان رقياً ، حيث يجمع ما عند الحيوان من قدرات مضافاً إليها (العقل) .

وللنفس العاقلة وظائف أو ملكات ، وأحط درجاتها الإدراك الحسى إذ أن الإنسان يدرك بحواسه صفات الأشياء ولكن لا يدرك جوهرها ، فهو يدرك أن هذه شجرة بصفاتها ولكن لا يدرك ما وراء ذلك ، ثم يلى درجة الإدراك بالحواس ما سماه بالحس المشترك أى المركز فى الدماغ الذى تتجمع فيه الإدراكات الحسية المختلفة (١) .

ويلى الحس المشترك فى الرقى قوة الخيال أو المخيلة التى تستعيد وتدرك الإحساس فى غيبة موضوعة . ويرى أرسطو « أننا نتخيل ما نشاء ومتى نشاء » وتساعد المخيلة على تأويل الإحساس الحاضر بالصورة المحفوظة فيها وهى التى تكون « الصور اللاحقة » من إيجابية وسلبية ، مثال ذلك : إذا تأملنا مدة من الزمن لوناً ما أبيض أو أخضر ، ثم حولنا البصر إلى شىء ، فانا نرى هذا اللون منبسطاً على الشىء . وإذا حدقنا فى الشمس أو فى لون ساطع ، ثم أغمضنا العينين ، فان هذا اللون يبدو إلى الأمام فى الاتجاه المعتاد للبصر ، ثم ينقلب قرمزياً فأرجوانياً فأسود ، ثم يتلاشى . والتعليل أن التأثير القوى ينتشر فى العضو كله ويتمكن فيه ويعاند التأثيرات الأخرى . وللمخيلة شأن كبير فى الأحلام . فهى المصدر الذى تنبعث منه صور الإحساس السابقة فتظهر فى النوم وتخدع الحالم ، لأن ذهنه منصرف عن كل شاغل خارجى ، ولا يستطيع ما يستطيعه اليقظان من مراجعة حاسة بأخرى .

وتأتى الحافظة بعد المخيلة ، وهى تزيد عليها فى إدراكها أن الصورة حصلت من إدراك حسى مضى . ثم تلى الحافظة الذاكرة ، والذاكرة تتميز بأنها تثير الصور وتحضر ما أمام العقل باختيارها .

وتأتى بعد ذلك قوة العقل ، والعقل درجتان أو قسمان : قسم سلبى وقسم إيجابى ، أو درجة قابلة ودرجة فاعلة . والقسم السلبى شخصى خاص . كالقدرة على التفكير ، والقسم الإيجابى ، أى العقل المفكر بالفعل قد كان موجوداً قبل أن يتحد مع بقية قوى النفس ، وهو يتصف بالعمومية بين جميع الأفراد .

---

(١) يوسف كرم (الموجع السابق ص) :- ٢٦١١

معنى هذا أن القوة الإيجابية كالأشعة تسلط على جميع الأفراد بالتساوى .. « ثم يتصل كل شعاع منها بالقوة السلبية فى الفرد فيبرز كل ما فيها من قوة إلى الفعل ، لأن هذا الشعاع هو فعل محض ، أما الاختلافات الموجودة بين بنى الإنسان ، فى الفهم والعقل رغم تساوى القوة الإيجابية المنسكبة على الجميع فمنشؤها اختلاف القوى السلبية التى هى بمثابة الأوعية للقوى الإيجابية والتى يختلف تأثير هذه القوى فيها باختلاف استعداداتها (١) .

وتتكون النفس من مجموع القوى التى سردتها ، والنفس هى صورة الهيولى (تكلم أرسطو عن العلة أى سبب حدوث الموت مثلا والحكمة من الموت معاً) وقال إن للعلة أربعة أنواع: علة مادية أى المادة التى يصنع منها الباب مثلا ، والعلة المحركة أى القوة التى عملت على اتخاذ الباب هذا الشكل أو ذاك ، ثم العلة الصورية وهى روح الشىء وما به ، ثم العلة الغائية وهى الغاية والغرض الذى تتجه الحركة لإخراجه . ثم ركز أرسطو العلل فى اثنتين سماهما المادة والصورة ، ويعبر عن المادة بالهيولى . وإذا كانت النفس هى صورة الهيولى .. والصورة لا تنفصل عن الهيولى ، فالنفس لا توجد من غير بدن فهى وظيفة الجسم . ولهذا أنكر أرسطو ما ذهب إليه فيثاغورس وأفلاطون من التناسخ ، خصوصاً حلول الأرواح فى أجسام حيوان ، قائلا إن وظيفة شىء ما لا يمكن أن تكون وظيفة لشىء آخر ، وعلاقة النفس بالبدن كعلاقة نغمات المزمار بالمزمار نفسه ، فالنغمات صورة والمزمار هيولى ، كذلك النفس هى موسيقى الجسم أو روح المزمار (٢) .

ويرى أرسطو أن كل ملكات النفس تفنى بفناء الجسم ما عدا العقل الفاعل فهو أزلى أبدى ، لا يفنى ولا يهلك ، ولا أول له ولا نهاية ، وقد جاء من الله لأن الله هو العقل المطلق ، ويعود إلى الله بعد الموت أى عندما ينقطع الجسم عن العمل .

---

(١) محمد غلاب المرجع الاسبق ص : ٨٧

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود (الموجع الاسبق) ص : ٢٥٢

فى المنطق : يتجه رأى إلى أن كل ماهو موجود فى كتب المنطق العربية تقريباً هو منطق أرسطو ، وفى رأى أن الصينيين والهنود قد عرفوا المنطق بتفاصيله وسبقوا إليه أرسطو بزمن طويل ، وبهذا يكون أرسطو هو منظم المنطق ومكمله وليس واضعه (١) . ويقسم منطق أرسطو إلى أقسام ثلاثة : قسم يدور على المفردات ، وقسم يدور على الأحكام أو القضايا ، وقسم يدور على الأقيسة أو البراهين .

وفى كتاب المقولات يتعرض أرسطو للمفردات والبحث عن ماهية الألفاظ المفردة وما يلحق بها من التباس وترادف واشتقاق ، والمقولات عشر وهى تقسم الأشياء إلى فصائل مختلفة وصل إليها أرسطو عن طريق الاستقراء ، وهذه المقولات أو الفصائل هى : (١)مقولة الجوهر كانسان أو حصان (٢) مقولة الكم كرطل أو ذراع (٣) مقولة الكيف كأبيض وجميل (٤) مقولة الإضافة أو النسبة مثل ضعيف ونصف (٥) مقولة الأين أو المكان كالميدان أو السوق (٦) مقولة المتى أو الزمان كأمس واليوم (٧) مقولة الوضع مثل نائم أو جالس (٨) مقولة الحال مثل مسلح ومنظم (٩) مقولة الفعل مثل قاطع ومحرق ، وأخيراً (١٠) مقولة الانفعال (أى نهاية العفل) مثل منقطع ومحترق .

ويتكلم أرسطو عن القضايا أو الأحكام ، ويقسمها إلى بسيطة ومركبة وتتكون القضية المركبة من مجموعة قضايا بسيطة ، والقضية البسيطة هى كلام يدل على معنى يفيد وجود شىء فى موضوع أو عدمه ، فى الحاضر أو الماضى أو المستقبل ، فالقضية إذن نفى أو إثبات .

ويتكلم أرسطو عن وضع القياس الثابت أكيد الإنتاج . ويقول إنه قول مؤلف من مقدمتين متى تثبت صحتهما لزم عنهما إنتاج ضرورى كان قبل ذلك

---

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود (المرجع الاسبق) ص٢٢٨ ، محمد غلاب (المرجع الاسبق) ص٢٠ - ٣٧ ، ماجد فخرى (المرجع الاسبق) ص ٢٣-٤٥ ، يوسف كرم المرجع الاسبق) ١١٨ - ١٢٢ .

مجهولا . وتسمى إحدى المقدمتين بالكبرى والثانية بالصغرى . ولما أضاف أرسطو التأكد من صحة المقدمتين كان يعنى البرهان وهو وحده عنده ما يفيد العلم ، لأن العلم عنده هو معرفة علل الأشياء التى تبين أن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون على غير ما كانت عليه ، وليس هو معرفة ظواهر الأشياء كما تعرف العامة أو معرفة علل زائفة ليست هى العلل الحقيقة للأشياء .

فى الطبيعة : كانت الفلسفة الطبيعية عند أرسطو ترمى إلى تبيان النشوء والارتقاء الذى سلكه العالم من هيولى إلى صورة ، والعالم فى سيره هذا يتحرك نحو غاية ، إذ أن كل شىء فى الوجود له غاية وله وظيفة يؤديها . والوجود الطبيعى هو الذى يتعلق بالمادة فى الحقيقة وفى الذهن ، وكل ما هو مادى فهو متحرك . وعلى ذلك فموضوع العلم الطبيعى الوجود المتحرك حركة محسوسة بالفعل أو بالقوة . ولكن هناك ما هو أعم من الحركة وهو التغير أو الصيرورة والتغير يتم من طرف إلى طرف ضده ، فالتغير من اللاوجود إلى الوجود يسمى كوناً ، ومن الوجود إلى اللاوجود يسمى فساداً ، ومن الوجود إلى الوجود أى التغير من حال إلى حال يسمى حركة .

ولا يؤمن أرسطو بنظرية المثل الأفلاطونية ، ويرى أن الموجودات على نوعين : أحدهما ما هو بالطبع أى الأجسام الطبيعية مثل الحيوانات وأعضاؤها والنباتات والعناصر ، وهذه تتميز بأنها قادرة على الحركة بذاتها ، وثانيهما ما هو بالصناعة أو الفن مثل المصنوعات كالمقعد والرداء . وهذه يحركها صانعها أو غيره . والمبدأ الذاتى للحركة والسكون فى الجسم يسمى بالطبيعة ، والجسم يتحرك ، والسكون هو غاية هذه الحركة ، فالشجرق تنمو أى تتحرك لتصل إلى غاية ، ويتكون الشىء من الهيولى والصورة كما يتكون التمثال من النحاس ومن صورة أبو لون .

وعن عملية النشوء والارتقاء يذهب أرسطو إلى أن (الصورة) تجذب العالم إلى الرقى دائماً ، أما الهيولى فانها تعوقه وتؤخره ، ولأن الصورة لا تستطع أن تتغلب تغلبا تاما على مقاومة الهيولى فان الصورة لا توجد من

غير هيولى . ولم يؤمن أرسطو بتحول من نوع إلى نوع بفعل الزمان كما ارتأى (دارون) ، ولكن الترقى عنده ترقى منطقى أو ترقى فى الفكرة ، فمثلا يحمل الإنسان ما فى القرد وأكثر . ويقسم أرسطو العالم إلى درجات من أدنى إلى أعلى ، فأولا توجد الأجسام اللاعضوية وفيها تضعف الصورة حتى تكاد تكون هيولى بلاصورة . ثم أرقى منها الأجسام العضوية والتى تتحرك من الداخل لتحقيق غاية . والنبات أقل رقياً من الحيوان ، ويلى الحيوان فى الرقى الإنسان ، ثم أرقى من الإنسان الأفلاك التى تأخذ فى التدرج إلى الله ! ! فأرسطو يرى الأجسام السماوية أنها أجسام إلهية وأن الكواكب ومنها الشمس والقمر تدور حول الأرض . ولهذه الكواكب قوة عاقلة أقوى من الإنسان ، وحياتها أزلية أبدية تتميز بالسعادة ، ولا يعرف عالمها الفناء ولا الموت ولا الفساد .

فى الأخلاق : عنى أفلاطون بما فوق عالم الحس ، وتجاوزت تعاليمه فى الأخلاق قدرة الإنسان طارقة أبواب الروحانيات والمثل العليا . أما أرسطو فقد خالف أستاذه واتخذ من الحقائق والواقع ركيزة بنى عليها الأخلاق العملية.

ويتكلم أرسطو عن غاية الغايات وأنها محل اتفاق بين الناس ، وهى السعادة ولكن الناس يختلفون فى مفهوم السعادة ويحكمون عليها بحسب سير ثلاث : سيرة اللذة ، وسيرة الكرامة السياسية ، وسيرة النظر أو الحكمة . ويرى أرسطو أن اللذة غاية الحيوانات والعبيد ، أما الكرامة السياسية فيطلبها الممتازون النشطون ، ولم يتكلم كثيراً عن سيرة النظر أو الحكمة .

ويرى أرسطو أنه لكى يتحقق خير الإنسان يجب توافر شرطين : الأول أن يكون هذا الخير غاية قصوى أو خيراً تاماً يختار لذاته ، والثانى أن يكون كافياً بنفسه أى قادراً وحده بأن يسعد الحياة دون حاجة لخير آخر ، وسعادة الإنسان ترتبط بنفسه الناطقة وعملها بحسب كمالها .

وفى رأى أرسطو أن الفضيلة ليست طبيعية فى الإنسان ، وإنما الطبيعى فيه القوى والاستعدادات ، كما أن الفضيلة تكتسب بمعاونة الطبيعة ، وهى تعلم بالمران والتدريب ، وتفقد باتيان أفعال مضادة . ويقول أرسطو إن الأفعال

المطابقة للفضيلة تخلق ملكات أو قوى فعلية تجعل الإنسان أقدر على إتيانها ، وللتربية أثر كبير فى هذا السبيل . والممارسة أساس فى تكوين الملكات ، ويرى أرسطو أن شعور الإنسان بلذة فعل الفضيلة هو الدليل على حسن استعداده للخير ، وأن فعلها بألم دليل قلة الاستعداد لهذا الخير .

ويقول أرسطو إن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، وليست كالوسط الرياضى الذى يعين النقطة بين طرفين ، ولكنه وسط (شخصى) يعينه العقل بالحكمة فالفرد بارادته وعقله يعين الفضيلة بعد تحكيم جميع الظروف . ويقول أرسطو إن بعض الانفعالات كالحسد والغيرة وبعض الأفعال كالسرقة والقتل آثام مذمومة بلا استثناء . وهى رذائل بالذات لا بسبب إفراط أو تفريط . وهذه تختلف عن فضيلة الشجاعة مثلا فهى وسط بين التهور والجبن . والاعتدال فضيلة بين رذيلتين هما الشره ، والاسراف فى اجتناب اللذات . والسخط وسط ، إفراطه التبذير وتفريطه البخل . والوداعة وسط بين الحدة والخمود . والحياء وسط ، إفراطه الوجل أو الاحمرار من كل شىء وتفريطه السفه أو القحة .

فى السياسة : لأرسطو كتاب فى السياسة ، يتكون من ثمانى مقالات : المقالة الأولى فى تدبير المنزل ، والثانية فى الحكومات المقترحة ، والثالثة فى الدولة والمواطن ، والرابعة والخامسة والسادسة فى الدساتير الوضعية ، والسابعة والثامنة فى الدولة المثلى .

ويقول أرسطو فى تكوين الجماعة السياسية إنها تبدأ بالأسرة ثم القرية ثم المدينة التى تكفى نفسها بنفسها ، ومهمتها توفير الأسباب لكى يبلغ أفرادها سعادتهم . أما عن تكوين الأسرة فيقول أرسطو إنها تتألف من الزوج والزوجة والذرية والعبيد . والرجل رأس الأسرة ، والمرأة أقل عقلا ووظيفتها العناية بالمنزل والأولاد تحت إشراف الرجل ، ويرى أرسطو أن الرق نظام طبيعى ، فمن الناس من هم على ذكاء وقدرات وهؤلاء هم الأحرار ، وهم الأذكياء الشجعان ، كاليونانيين ومهما عدام إما أذكياء فقط أو شجعان فقط ، فهم

عبيد بطبيعتهم . والعبد آله للحياة ، يعمل فيما يتنافى مع ماتحدد كرامة الحر عمله. ولكن أرسطو لم يقر استعباد الشعوب بالفتح ، كما فتح الطريق أمام عتق العبيد ،وأوجب على السادة حسن استعمال سلطانهم.

ويعارض أرسطو أفلاطون فى أحترامه نظـام الأسرة والملكية لأنهما صادرتان عن الطبيعة لا عن الوضع والعرف ، وإلغاؤهما معارض لميل الطبيعة ولخير الدولة جميعاً . بل هو مستحيل التنفيذ . ولا يقبل فكرة شيوعية النساء كما رآها أفلاطون وبالتالى يرفض شيوعية الأولاد .

ويرى أرسطو أن الحكومة الصالحة هى التى ترمى إلى خير المجموع ، والفاسدة هى التى تعمل لخير الحكام ومصالحهم الخاصة . ومن أشكال الحكومات الصالحة : الملكية والأرستوقراطية ، والديموقراطية . ومن أشكال الحكومات الفاسدة : الديكتاتورية ، والأوليجركية والديماجوجية .

آراء أرسطو التربية

يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون فى كثير من الآراء التربوية ، فقد أورد أرسطو فى كتابه (السياسة) عن العلاقة بين الدولة والتربية ، ويظهر فى كتاباته متأثراً بأفلاطون . وينظر كلاهما إلى التربية على أنها من مهام الدولة ولذلك فلم يعجبهما عدم وجود نظام تربوى عام موحد فى آثينا ، وطالبا بثورة شاملة فى طرائق تربية الأجيال الصاعدة الآثينية .

ويتفق أرسطو مع أفلاطون فى أن تربية الرجل الحر ترتكز على عاملين بدنيين ، أولهما جسم صحيح سليم وثانيهما تكوين عادات مناسبة ، بل أن أرسطو يرى أن التربية عن طريق تكوين العادات الصالحة يجب أن تسبق تربية العقل ، وعن طريق العادات تنقش قيم الحياة النبيلة فى عقول الصغار منذ بواكير طفولتهم .

واهتم أرسطو كما اهتم أفلاطون بتنمية العقل إلى جانب تنمية الجسم ، والتنمية العقلية انعكاس القوة الإلهية و للذلك فان سعادة الإنسان توجد فى إيمانه ووحدته مع هذه القوة العليا ، . والإيمان البشرى لقوة الإله كفيلة بتمكينه

إصدار القرارات الحكيمة فى مختلف سبل الحياة .

ومع أوجه الاتفاق بين أرسطو وأفلاطون فان هناك جهات ظهر التعارض فيها بينهما واضحاً، فبينما كان تفكير أفلاطون فى الاتجاه المثالى نجد أرسطو أكثر ميلا للواقع ، وإذا كان أفلاطون قد هام فى سحب اليوتوبيا من خلال محاوراته العديدة فان أرسطو كتب ما أقنع رجل العصور الوسطى بآرائه فنسج حولها مشاكله الفلسفية . بل إن أساتذة بجامعات اريس وبولونيا وأكسفورد فى عهودها الأولى اعتمدوا على كتابات أرسطو وخاصة فى المنطق وفى تحديداته الدقيقة فى العلوم . كما أن الترجمات اللاتينية لكتابات أرسطو كانت ركائز للدارسين من المسيحيين فى الفلسفة وفى الطبيعة .

ذهب أفلاطون إلى القول بأن الوجود يتكون من حس وفكر ، أو مادة ومثل ، أما أرسطو فقد محا هذه الإثنينية ورأى أن الصورة والمادة كل لا يتجزأ وبينما كان أفلاطون يرى أن الحقيقة مركزها فى النظام الروحانى السماوى أى فى عالم المثل وليس فى عالم الواقع الذى هو مظهر لعالم المثل فان أرسطو يرى أن الحقيقة توجد فى عالمنا الواقع . فأرسطو يهتم بدراسة احقائق البيولوجيا بينما اهتم أفلاطون بالنظريات الرياضية ، ووجد فى تصوره أن عالم الحس لا يفهم إلا بالعالم الآخر الإلهى أما أرسطو فرأى أن على الإنسان أن يعمل عقله فيما بين يديه ، وأن عالمنا يفهم من ذاته ، وأكد ضرورة الاستعانة بالمنطق . وفهم أرسطو الإنسان كانسان لا كمخلوق إلهى .

كان أفلاطون يهيم فى بحثه عن الحق فى الخيال ، فى عالم مثالى ، بينما عاش أرسطو على الأرض يبحث عن الحق ، ولم يثق أفلاطون فى الحواس ، ورأى أرسطو أنها يمكن أن تكون آلات تستخدم لمعرفة بعض الحقائق الأولية (١) .

وقال أرسطو إنه يجب على التربية أن تعتمد على نمو صحى سليم للمتعلم ولهذا فان الغذاء المناسب والتمرينات الرياضية أساسيان . ولكنه رأى أيضاً أن نمو الفرد يتحدد إلى حد كبير بالعوامل الوراثية الجسمية والنفسية فما يطلق عليه

---

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود : (المرجع الاسبق) ص : ١٨٥ - ٢٨٨

« طبيعة صحية » هو مزيج من الفطرى والمكتسب . ونلمح هنا اهتماماً من جانب أرسطو بنقاء الجنس ، كما أنه يتعرض فى مناسبات كثيرة إلى ضرورة اعتماد التربية على طبيعة الفرد وأن تعمل على تنمية قدراته . ويرى أن « يهدف كل الفن والتربية لاستكمال نقائص الطبيعة (١) .

ومن آراء أرسطو التربوية التى أوردها فى كتابه « السياسة » أن كل فرد ذى طبيعة صحية ينزع إلى التقليد ، والتقليد أساس الفنون الجميلة ، كما ينزع هذا الفرد إلى الحياة التعاونية مع غيره من الناس ، ويدفع الإنسان إلى هذه المسالك محرك أساسى هو رغبته الطبيعية فى السعادة . وحيث إن السعادة تخرج من ثنايا حياة منتجة متزنة فاضلة ، فان الفرد الصحى سيهتم أصلا بتحقيق القيم النبيلة ، واهتمام الفرد بتحقيق حياة منتجة وسعيدة يثير قدراته وطاقاته لا من حيث عمقها فحسب ولكن فى مداها واتساعها . ولهذا فان الفرد يحاول تثقيف نفسه ويتصل بعناصر البيئة المحيطة ليعمل على نمو طاقاته . وبتفاعل هذه الطاقات يضمن الفرد نمو أكاملا .

وتتصف طاقات الفرد فى طفولته بأنها تتأثر باالقوى الغريزية أكثر من خضوعها لأحكام وتوجيهات العقل ، ومهمة المربى العمل على أن تكون النزعات الفاضلة والرغبات النبيلة السيادة فوق السلبية وغير الفاضلة . وهنا يكون دور تكوين العادات بالتدريب المستمر .. وقيل فيما بعد إن العادة هى طبيعة الإنسان الثانية .

ولكن أى العادات يكونها الفرد ؟ يشترط أرسطو الفاضل والنبيل منها ، ويحدد العقل العادات الصالحة المقبولة ، فالعقل والأفكار يحددان بداية وأهداف التربية ، فليس من الخروج عن الصواب إذا قلنا إن هدف التربية كما رآه أرسطو هو النمو النفسى والجسمى السليم للفرد . وتبدأ تربية الإنسان بتعويده وتعليمه فى مرحلة من نموه لا يتمكن فيها بعد من تقرير ما يجب عليه عمله . ومع نموه يتمكن من إصدار القرارات والأحكام . وبقدرة الإنسان على إصدار

---

(١) Ulich, ob· cit., b·37.

القرارات الحكيمة يحقق لنفسه حياة سعيدة تتسم بالاتزان والبعد عن الإفراط والتفريط ، وبذلك يضمن الإنسان البعد عن مهاوى الرذيلة .

ويتحدث أرسطو عن الرجل الحكيم وهو الذى يجمع بين الذكاء والمعرفة العلمية ، هو ذلك الذى يتمتع بفضائل العدالة والشجاعة والحرص ممتزجة بالمعرفة . ويعبر عن هذا المزيج بالحكمة النظرية والعملية التى تمكن صاحبها من الحياة السعيدة الفاضلة مع نفسه ومع غيره من الناس ، وهذا مستوى الكمال حيث تقفل عنده دائرة التربية . وهنا يكون الفرد قد وصل إلى حالة السعادة .

ولكن حالة السعادة هذه لم تنتج من مجرد دوافع بيولوجية وغريزية ولكنها محصلة خلقية وعقلية ، وهى بهذا ترتفع إلى مستوى أعلى من المستوى الطبيعى ، فهى تضم عناصر البقاء ، والمسئولية التى لا تنتهى ، والحرية .

وفى رأى أرسطو أن التربية يجب أن تخدم النظام السياسى القائم وأن تتفق مع طبيعة المتعلمين . والتربية من مهام الدولة و (النظامية منها) تنتهى عند سن الحادية والعشرين ، وتقسم إلى أربع مراحل : المرحلة الأولى تنتهى فى سن الخامسة ، والتربية فيها طبيعية وتشتمل على حركات بدنية تلقائية مع اهتمام بحماية الأطفال من المؤثرات اللاأخلاقية . والمرحلة الثانية من سن الخامسة إلى السابعة وفيها يلاحظ الأطفال الأنشطة التى سيمارسونها فيما بعد ، ويبقى الطفل فى البيت فى هذه المرحلة ولكن تحت إشراف مديرى التربية فى الدولة .

أما المرحلة الثالثة فتنتهى قبيل سن المراهقة وفيها يتعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والتمرينات الرياضية والموسيقى . ويهتم أرسطو بالرياضة والموسيقى على أساس أنهما يهيئان للفرد حياة منسجمة متزنة سعيدة . والمهم فى هذه المرحلة التدريبات وتقليد السلوك الطيب وتكوين العادات الخلقية السليمة . ويؤمن أرسطو بأن التربية علم مبنى على مبادىء عامة ذات صبغة عالمية معترف بها ، ولذلك فهو يعهد بالأطفال فى هذه المرحلة إلى المسئولين من قبل الدولة ليقوموا على تربيتهم .

أما المرحلة الأخيرة وهى مرحلة (النفس المنطقية) . فيبدأ فيها المتعلمون بسنوات ثلاث يتعلمون خلالها دراسات ذات طابع عقلى مثل العلوم والفلسفة والآداب والعلوم السياسية التى يرى أنها سيدة الدراسات كلها ويدخل فيها علم النفس . ويرى أرسطو أن ملكات الفرد تنمو فى ثنايا هذه الدراسات .

أثر آراء أرسطو التربوية

كانت آراء أرسطو كنزاً ثميناً للفكر التربوى والفلسفات التربوية ، فالى جانب الأدوات المنطقية التى وجهت طرائق الحكم والتسلسل ، فان آراءه كانت الحكمة التى تأثر بها كثير من المفكرين مثل توماس الأكوينى والبرتوس ماجنوس لوضع فلسفة مسيحية منظمة . بل إن آراء أرسطو كانت الأساس الذى بنى عليه منهاج التعليم فى أواخر العصور القديمة . كما أن مناهج المدارس الثانوية والمعاهد العليا اليوم تظهر دلائل على تأثير أرسطو . فان تصنيف الكتب فى بعض مكتبات الجامعات القديمة فى أوروبا يتبع تقسيم أرسطو للمعرفة ونعرف أن الفنون العقلية الحرة السبعة التى درست فى معاهد العصور الوسطى واستمرت إلى القرن الثالث عشر ومازالت مؤثرة إلى اليوم مستمدة من أعمال أرسطو . وتشتمل الفنون العقلية السبعة : على النحو والمحاورة والبيان والموسيقى والحساب والهندسة والفلك . وتسمى الفنون الثلاثة الأولى بالثلاثية ، والأربعة الأخيرة بالرباعية .

ومع إعجاب المفكرين فى العصور القديمة والوسطى بكلمات أرسطو وآرائه ومنطقه إلا أنهم وجدوا فى جوهر فلسفته غرابة عنهم فلم يستطيعوا الإبقاء على روح البحث المستقل ، ولم يتمكنوا من تنفيذ آرائه فى التربية ، ولم يتفهموا بعمق أنه أدرك الإنسان على أنه كائن دينامى مستقل متكامل .

ثم اهتزت بعض آراء أرسطو فى عصر النهضة بظهور التجريب والبحث العلمى . وأصاب آراءه – وخاصة فى الطبيعة – نقد كبير حتى أصبحت ذات قيمة تاريخية فحسب ، ومع ذلك فان آراءه فى بعض المشاكل الفلسفية وفى المنطق مازالت تتوهج ومازالت محوراً للمناقشات الفلسفية .

محاولة لتقييم التربية الإغريقية

بالذات التربية الإغريقية ...

فان تأثيرها على العالم الغربى مازال — فى رأى الكثيرين من علماء الغرب — فاعلا نشطاً . وليست محاولة التقيم هذه كشف حساب عن هذه التربية ، وليس القصد وضعها فى ميزان النقد ، فما يظن الكاتب إلا أن هذه عملية تستأهل كتاباً قائماً بذاته . وإنما يرمى الكاتب إلى وقفة قصيرة نطل فيها على هذا التراث الإغريقى من ارتفاع قليل بعد أن دخلنا أكاديمياتها وليسياتها وحلمنا مع أفلاطون فى جمهوريته حتى شدنا أرسطو إلى واقعيته .

من عل نرى أن التربية الآثينية — والمجتمع الآثينى والثقافة الآثينية التى أسست عليها تلك التربية — لم تكن ديموقراطية ، إذا قصدنا بديموقراطية التربية تكافؤ الفرص التعليمية للجميع فلم ينظر الآثينيون ، وجيرانهم الاسبرطيون ومن قبلهم الهنود البراهمة ، ومن بعدهم الرومان وأوروبا العصور الوسطى ، لم ينظروا إلى التربية على أنها حق لكل الناس ، لكل أفراد الشعب ، حق كأشعة الشمس والهواء . كانت التربية حقاً استمتاعياً وزينة للمواطن الآثينى الذكر الحر . أما العبيد وغير الآثينيين والنساء فليس لهم ذلك الحق . وإن سمح للنساء بتدريب على الشئون المنزلية والتسوية مع عناية بالجوانب الخلقية ، كما سمح لبعض أطفال غير الإغريق بدخول المدارس مع أطفال الإغريق ، فقد حجب حق التعليم كلية على الهيلوت وهم العبيد .

ويمكن القول إن مفهوم التربية كحاجة بشرية وحق بشرى لم يكن معمولا به إلا — ربما — عند المصريين القدماء والصين العتيقة ؛ حيث إنه فى الصين ومصر لم يقف شيء بين أى عضو فى المجتمع وبين تلقى أرقى أنواع التعليم إلا الفقر ونوع التعليم المحتجز لوظائف كهيوتية عالية . وقد اقتربت التربية المسيحية فى مفهومها عن المساواة فى التعليم بين كل الناس بغض النظر عن

الجنس والمستوى الاقتصادى والاجتماعى والسن والسلالة وموطن الفرد الأصلى ولم تستطع المسيحية فى قرونها الأولى أن تضع هذا المفهوم الجميل موضع التنفيذ ، وكان لابد لها أن تنتظر العصور الحديثة حتى يصبح الحلم حقيقة فى بعض الدول .

قامت التربية الآثينية على أساس (الديموقراطية الارستوقراطية) . كانت أرستوقراطية لأنها امتياز لمجموعة قليلة العدد من سكان آثينا ، وديموقراطية لأنها – فى نطاق هذه المجموعة من المواطنين الذكور الأحرار – ضمت كل أفراد هذه الجماعة المميزة . وإذا قبلنا هذا الوصف وهو ديموقراطية داخل نطاق جماعة مميزة فى المجتمع فلا يجب أن يغيب عن بالنا أنها ديموقراطية – فى مفهومنا الحديث – لا يجوز ولا يجب الاعتراف بها .

ولم يقف حد غرور أحرار الإغريق ، وخاصة الآثينيين ، عند حد التمتع داخلياً بهذا الامتياز الطبقى ، بل إنهم نظروا إلى الشعوب المجاورة فى الشرق الأوسط على أنهم برابرة لا يدانون الإغريق فى رقيهم ورفعتهم . ويرى لورى(١) أن الدراسة غير المنحازة تكشف عن بناء اجتماعى وثقافى عند بعض هذه الشعوب أرقى مما كان موجوداً فى اسبرطة وآثينا . ويرى أن الإغريق مدينون للشرق بالكثير ، فان مصر أمدتهم بالأسس العلمية وأفكارها ، كما أن الفينيقيين كان لهم الفضل فيما لدى الإغريق من أدوات التعليم كالحروف الهجائية ، كما أن الثقافة الهندية – الفارسية صدرت للإغريق المفاهيم الدينية . ويقول أوتو وينمان :

« لقد لعب الشرق دوراً كبيراً فى تنمية الثقافة الإغريقية . وأصبح اليوم من الأمور المسلم بها أن المجد الثقافى الذى توج الاسكندرية كان مرده جزئياً إلى الكنوز التى جمعها المصريون ، وأن المصريين منذ عصور سابقة كانوا معلمى الإغريق ، فهم أساتذتهم فى العلوم التقنية والرياضية . كما أنه من المؤكد

---

(١) Laurie, S.S : Historical Survey of Pre-Chrisrtian Education, p. 8.

أن أشكال العبادات والأساطير والقصص والأغانى والأقوال الحكيمة استوردها الإغريق من الشرق » (١) .

ونرى فى التربية الإغريقية وخاصة الآثينية منها اهتماماً بما يطلق عليه اليوم « الشخصية المتكاملة » فالكثير يقال عن اهتمام آثينا بالفردية ، واهتمام التربية بالموسيقى للروح والرياضة للبدن . ومع هذا فاننا لا نستطيع إلا أن نتساءل عن معنى أن يقتصر ما يسمى بالفنون العقلية الحرة وتعليمها على المواطنين الأحرار وكانوا قلة ، أما الجوانب المهنية كالزراعة والحرفية وغيرها فكانت من نصيب غير الأحرار المواطنين . تربية عقلية للأحرار ومهنية للعبيد .. وقد صار امتهان التربية المهنية إذ ارتبطت منذ أيام الإغريق بما يتعلمه العبيد وهم أدنى مكانة من السادة الأحرار الذين درسوا الفلسفة والشعر والموسيقى . ولكن أحداً منهم لم يمتهن حرفة الموسيقى ، ولم يدرسها لعائد من ورائها أو مكسب يجنيه منها ؛ فالكسب المادى شيمة العبيد والاستمتاع الفنى صفة السادة الأحرار . وقد ساد هذا المفهوم قروناً طويلة مما حمل معه طبقة زائفة قوامها التعلم للزينة والمباهاة كما فعل أبناء الأرستوقراطيين فى مجتمعات حديثة ، أما التعلم لكسب العيش فهذا أمر لم يقدره أفراد من طبقة النبلاء والأشراف . وقد احتقر الآثينيون جماعة السفسطائيين لأنهم انحطوا بالحكمة فشوا يبيعونها ويتكسبون منها . وقد آلمهم موقف السفسطائيين هذا لأنهم تحولوا إلى تجار محترفين ومستعدين لاتخاذ أى موقف طالما يضمنون عائداً ثميناً . فلكى تكون الحكمة والفلسفة وغيرهما من الإنسانيات ذات احترام وقدسية يجب أن تحاط وتتوج بهالات الاحترام ، فلا تلوث بالاتجار أو كسب المال . بل تظل فى أبراج نظيفة لامعة . وعلى سكان هذه الأبراج أن يخدموا بعضهم البعض ، ويقدسوا المعرفة لذاتها ، غايتهم الارتواء . ولكنهم رفضوا كل الرفض أن يعترفوا بمعرفة ذات طابع عملى أو ما سمى فى القرن العشرين بطابع براجماتى .

---

(١) Willmann, Otto : The Survey of Education, (trans. Felix M. Kirsch.) p. 18-19.

إن الغريب فى الأمر .. وقد لا يكون غريباً .. أن السادة الأحرار ما كانت حياتهم تقوم لولا ما أنتجه غير الأحرار من عملهم بأيديهم . وقد لا نشك لحظة أنه لو لم تتغذ البطون لما استطاعت العقول القيام بوظائفها ، فبدون الغذاء تتوقف الحياة . العقول تعمل فى أجسام حية .

على أننا — للإنصاف — نقول إن فكرة الآثينيين الأحرار كانت تقوم على أن للتربية تأثيرها المحرر على العقل البشرى ، وأن التربية هى هدف فى ذاتها بما تنتجه من نمو داخلى ويقظة وإدراك ورؤية وبصيرة ... أو كما قال ديموقريطس « التعليم والطبيعة شيئان متشابهان ، لأن التعليم يغير الإنسان ، ومن خلال هذا التغير يكتسب الإنسان طبيعة ثانية » (١) .

ويدافع المؤيدون للتربية الإغريقية عن موقف القلة الحرة ، قائلين إنه كان لديهم الوقت الكافى والظروف الاجتماعية والاقتصادية الملائمة . فقد تمتعوا بالحرية التى حجبت عن الغير ، وصار لديهم فراغ ملأوه بدراسة الشعر والأدب والعلوم والفلسفة والموسيقى .. ويقولون إن التربية مثلها مثل الابتكار كلاهما يتطلب أن يعطى الفرد نفسه باختياره وإرادته ، أما التعليم المفروض على الفرد فهو يهزم نفسه ولا يثمر ولا يحقق أغراضه . وما يفرض عليك لا يحررك . ويقولون إن الفنون والعلوم التى يفرضها الغير على المتعلمين تتحول إلى أعباء ثقيلة فى وطأتها على عقولهم .. هى أشياء لا حياة فيها . وكما أن الطعام يكون شهياً عندما تكون الرغبة والشهية متفتحين لتقبله ، كذلك المعرفة تكون أكثر ما تكون مثرية مفيدة عندما تشبع جوع الوعى والفهم .

إنه رائع أن ننظر من عل إلى التربية الإغريقية فنرى فيها التكامل والجوانب المتعددة . ومرة أخرى نأسف لأن هذا قصر على القلة من الأحرار ، ولكن المهم أن هذه التربية عملت على إنماء قوى العقل والجوانب الفنية والقوى الابتكارية ، والخلق ، والبصيرة الدينية والمشاركة المدنية . وقد نجح الإغريق فى هذا الأمر الذى يصعب تحقيقه اليوم . وربما كان السبب أن الحصيلة المعرفية

---

(١) ويلمان : المرجع السابق ص ١٢٧ .

التى قدمت أيام الإغريق كانت تسمح فى حدودها الكمية بأن تعطى المتعلمين . المتمتعين بالفراغ والجدة والرغبة الصادقة فى التحلى بزينة المعرفة ، ما عندها .

هذا مستحيل اليوم ، ولا تاق بالا إلى هؤلاء الذين يدعون معرفة كل شيء وثق أنهم يكادون يجهلون كل شيء .

ثم أليس رائعاً ما قاله سقراط مشيراً فى براعة وحصافة إلى أن الأخلاق هى أسمى وأعلى وأجل هدف للتربية ، ثم ما قاله رابطاً بين الفضيلة والمعرفة ، هما قرينان متلازمان ، ويجب أن تؤدى المعرفة إلى الفضيلة . وإلا ما كانت معرفة ، ثم اقتران الحمق بالجهل .

وأيضاً من حكم الإغريق فى التربية أن السيطرة الذاتية تتمخض وتنتج عن المعرفة الذاتية .

يتطلب الأمر حكمة ليكون الواحد خيراً فاضلا .